التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 201 السنة 22 - أغسطس 2024

الاستثمارات الأجنبية..الهواجس والتحدّيات

المادة (٦) من قانون الجنسية والشُبهة الدستورية

موقفنا

الشفافية المطلوبة في ملف التجنيس

استقبل المجتمع البحريني بكافة قواه ومُكوّناته بترحيب، قرار وزير الداخلية بتشكيل لجنة تحقيق في ملف التجنيس، وهو تحقيق عزته الوزارة إلى وجود مخالفات في منح الجنسية البحرينية لمن لم يستوفوا الشروط المنصوص عليها في القانون لذلك، والحقّ أنّ هذه الخطوة المُرحب بها من المجتمع وقواه السياسية تأخرت كثيراً، بعد أن تفاقمت عمليات التجنيس، وأصبحت تشكل عبئاً كبيراً على اقتصاد البلاد، فضلاً عما نجم عنها من استياء عام في صفوف الناس بسبب تداعيات الزيادة المخيفة في اعداد المجنسين، لا لجهة منافستهم للمواطنين في مجالات المعيشة والخدمات فحسب، وإنما أيضاً لما يرتكبه بعض هؤلاء المجنسين من تجاوزات قانونية في البحرين والمحيط الخليجي أضرّت بسمعة وطننا.

أمّا وقد بدأت لجنة التحقيق التي شكّلتها وزارة الداخلية عملها، فإن الشعب يتطلع لأن تقوم بمراجعة شاملة وصارمة للملف، هدفها أولاً وقف هذا التجنيس، وثانياً سحب الجنسية ممن نالوها خلافاً للقانون، وهذا أمر تحدث فيه رجال القانون في بلدنا، بمن فيهم أعضاء في منبرنا التقدمي، فما ينتظره الناس لا ينحصر في حالات فردية محدودة، وإنما مراجعة جادة للملف برمته، والتقيّد بالضوابط القانونية المُنظمة، ووضع حدٍّ لسياسة فتح الباب على مصراعيه للتجنيس، دون التبصر في عواقبه الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، والتي بات صعباً احتوائها والسيطرة عليها.

سبق أن قلنا في بيانات سابقة، وأيضاً على صفحات نشرتنا هذه في أعداد مختلفة منها، إنّ سياسة التجنيس في البحرين غير مبنيّة على معايير الاختيار والتدقيق في الكفاءة، وإنما تعكس وجهاً من أوجه الهروب من المعضلات السياسية والاجتماعية في البلاد، تحت وهم الاستقواء بمن يجري تجنيسهم خارج القانون، وعلى الضد من أحكامه في مواجهة مطالب الناس في حياة أفضل، فتكون النتائج تسعير روح الاستقطاب الفئوي، فضلاً عن زيادة الضغط على الخدمات الاجتماعية الضرورية من إسكان وتعليم وخدمات صحية ومرافق البنية الأساسية الأخرى، في بلد يعاني أصلاً من الكثافة السكانية ومن ضعف هذه الخدمات.

إنّ الناس تنتظر أن تعلن هذه اللجنة، وبكامل الشفافية والوضوح، عن نتائج عملها، وألا تحاط بالسريّة أو التكتم، فهذه الشفافية ضروريّة ليعرف الرأي العام الحقيقة، وليطمئن على أن الأمور تسير في الإتجاه الصحيح كما نرغب جميعاً كبحرينيين.

التقدمي

التقدمي يدين اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس

أدان المنبر التقدمي اغتيال إسرائيل لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس اسماعيل هنية، واصافاً هذا الاغتيال بالجريمة السياسية في سجل الإجرام الصهيوني المتواصل ونموذج للاستهتار الصهيوني بكل الأعراف والتقاليد الدبلوماسية المتعارف عليها في العلاقات الدولية، حيث تم اغتياله وهو في زيارة رسمية وضمن بروتوكول دبلوماسي وعلى أراضي الجمهورية الإيرانية لتهنئة رئيسها المنتخب حديثاً، كما أن عملية الاغتيال في هذا التوقيت خطوة نوعية لتصدير أزمة السلطة الصهيونية إلى خارج حدود الأراضي المحتلة، يسعى الاحتلال من وراءها إلى صناعة انتصار وهمي بعد فشل متواصل في تحقيق نصر على المقاومة الفلسطينية الباسلة التي كشفت الغطاء عن الصورة الوهمية لجيش الاحتلال الصهيوني.

وقال التقدمي في بيانٍ أصدره بهذا الشأن «إن الصهيونية تستهدف من مثل هذه الخطوات في العدوان على ميناء الحديدة في الجمهورية اليمنية والتضحية بأطفال الجولان المحتل في واقعة مجدل شمس ثم توجيه الاتهام إلى المقاومة اللبنانية، ثم الاعتداء السافر والوحشي على الضاحية الجنوبية في بيروت مساء 30 يوليو 2024 راح ضحيته ثلاثة قتلى والعديد من الجرحى من المواطنين اللبنانيين المدنيين، والآن استهداف رئيس المكتب السياسي لحركة حماس على الأراضي الإيرانية، جميعها تهدف إلى جر المنطقة لحرب إقليمية تؤدي إلى اصطفافات تحقق من وراءها مكاسب وأحلاف عسكرية، تفرز واقع إقليمي يترجم مضامين الاتفاقات الإبراهيمية من جانب ومن جانب آخر تنتشل نتنياهو من أزمته السياسية ومن المستنقع الذي بات يغرق فيه ويهدده بمستقبل مظلم ومحاكمات قد تنهي مسيرته السياسية إلى مجرم يقضي عقوبة حبس».

الشويخ يطرح عدة أسئلة برلمانية

قَدَمَ النائب عن كتلة «تقدم» الدكتور مهدي الشويخ مؤخراً أكثر من 5 أسئلة برلمانية، وذلك خلال دور الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي الحالي.

وتقدم الشويخ بسؤال لوزير المواصلات والاتصالات محمد الكعبي بشأن الأوضاع المالية لشركة ممتلكات القابضة الحكومية والشركات التابعة إليها، وذلك تمهيدا لمناقشة بشأن مجموعة من القرارات الاستثمارية التي اتخذتها الشركة في الآونة الأخيرة.

ونصّ السؤال على ما يلي: كم بلغ إجمالي أرباح/ خسائر شركة ممتلكات القابضة عن العام 2022؟ وكم بلغ إجمالي أرباح/خسائر الشركات المنضوية للمجموعة عن العام 2022؟

وطالب الشويخ في سؤاله بتوضيح الوضع المالي للشركة الأم والشركات المنضوية إليها عبر تضمين الإجابة قائمة الدخل وقائمة الأصول والخصوم لكل شركة.

ولم يقدم الوزير المعني إجابة مكتوبة وفق الأعراف البرلمانية، مكتفياً بإجابة شفهية. وأثناء مناقشة السؤال البرلماني مع الوزير الكعبي، أشار الشويخ إلى أن تقارير إعلامية أجنبية كشفت عن ضخ ممتلكات لأكثر من 450 مليون جنية إسترليني في شركة ماكلارين الخاسرة (أكثر من 200 مليون دينار).

وفي سؤال برلماني آخر، طرح الشويخ على وزير العمل جميل حميدان مجموعة من الاستفسارات بشأن إغلاق ملفات العاطلين وإيقاف صرف علاوة الغلاء عنهم، ودون توفير وظائف مناسبة لهم.

وجاء نص السؤال كما التالي: ما عدد ملفات العاطلين التي أغلقتها وزارة العمل منذ مطلع 2023 ولغاية الآن؟ ما أسباب الإغلاق؟ وكم إعداد العاطلين الذين اتخذ إزاءهم قرار بإيقاف إعانة التعطل رغم عدم حصولهم على وظيفة؟ وما هي أسباب إيقاف الإعانة؟ وكم بلغ عدد الحالات التي نظرتها لجنة التظلمات في الوزارة منذ مطلع يناير 2023 ولغاية الآن؟ وكم عدد القرارات الصادرة بقبول أو رفض التظلم كل شهر على حدة؟

تقدّم: ضوابط ملزمة لتنفيذ حزمة تدريب الكوادر الطبية البحرينية

طالبت "كتلة تقدّم" البرلمانية بضرورة وضع ضوابط ملزمة للجهات المستفيدة من حزمة البرامج التي أطلقتها كل من "تمكين" ووزارة الصحة والمستشفيات الحكومية، لدعم أكثر من 700 من الأطباء والكوادر التمريضية البحرينية في القطاع الصحي عبر برامج تدريب وتأهيل ودعم لأجور "العاطلين" من الاطباء والكوادر الصحية في القطاع الخاص ومختلف المستشفيات في البحرين.

ودعت الكتلة في بيان لها بأن تشمل تلك الضوابط المستشفيات الخاصة، عبر إظهار الاهتمام الجدي مع تلك الحزم مع أهمية وضع سقوف زمنية ونسب توظيف للبحرينيين في مختلف المؤسسات والمستشفيات الصحية، حتى تتم الاستفادة الفعلية من تلك الأموال التي ستصرف من قبل الجهات الممولة مثل "تمكين" وصندوق وقف عيسى بن سلمان التعليمي الخيري.

وأكدت "تقدّم" دعمها الكامل لحزمة المبادرات التي تاتي ضمن التعاون البناء والمثمر بين ما طرحه ويطرحه مجلس النواب باستمرار، واقترحته "كتلة تقدم" كتشريع على وجه التحديد، من ضرورة الالتفات جيداً لإدماج وتوظيف الأطباء والكوادر التمريضية والصحية في سوق العمل، كما أكدت الكتلة استمرارها في متابعة تنفيذ حزمة البرامج تلك والتأكد من أنها ستستوعب جميع الأطباء والكوادر الصحية الوطنية من العاطلين عن العمل.

مطالبة بتغيير القرار الوزاري المتعلق بسنة الامتياز

يذكر أن تقدّم كانت قد طالبت في بيان سابق المعنيين في وزارة الصحة والمستشفياتً الحكومية بضرورة الإسراع في تغيير القرار الوزاري المتعلق بطلبة الامتياز من البحرينيين، حيث أن القرار المعمول به حالياً يحصر القبول في سنة الامتياز على خريجي الطب من الجامعات البحرينية في الغالب، في حين أن أعداداً من الأطباء حديثي التخرج من الجامعات العربية والاجنبية ما زالوا ينتظرون فرصتهم لعمل سنة الامتياز في المستشفيات الحكومية، وبالإمكان استيعابهم جميعاً بشيء من التنسيق، مع إمكانية إشراك مستشفيات القطاع الخاص في برنامج سنة الامتياز، لكي لا تضيع على هؤلاء الطلبة سنوات مهمة من أعمارهم، وفي ذات الوقت يمكن أن يستفاد من وجودهم في المستشفيات والمراكز الصحية لسد النقص الحاصل في أعداد الأطباء ببعض التخصصات.

جانب من الندوة

محفوظ : إسرائيل دمّرت البنية التحتية الإعلامية في قطاع غزة لإخفاء الحقيقة

أكد الصحفي حسن محفوظ أن الكيان الصهيوني يتعمد تدمير البنية التحتية الإعلامية في قطاع غزة من أجل تغييب إخفاء الجرائم والمجازر التي يرتكبها في القطاع منذ السابع من أكتوبر الماضي وراح ضحيتها آلاف الشهداء بينهم عشرات الصحفيين.

وأضاف محفوظ خلال ندوة أقيمت بالمنبر التقدمي مساء الأحد 30 يونيو 2024 أن الكيان الصهيوني يتعمد استهداف الصحفيين ومضايقتهم لإرباكهم أثناء عملهم فضلا أنه منع الكثير من الصحفيين المستقلين الذي يمكن أن ينقلوا الحقيقية للعالم بسبب أن المحطات الإخبارية الكبيرة الغربية منحازة تماماً للسردية الإسرائيلية.

وأوضح أن الإعلام الغربي يعتمد على عدة مضامين ويكررها في تغطيته للحرب على قطاع غزة على شكل تقارير وتحليلات وأخبار كربط المنشآت في قطاع غزة بحماس مثل المستشفيات ودور الرعاية والإيواء والمدارس بهدف تبرير قصفها وهي تنسجم مع الإطار الإعلامي الذي حددته إسرائيل للإعلام الغربي، مشيراً أن الإعلام الغربي قام أيضاً بتجريد الشعب الفلسطيني من إنسانيته من خلال ربط جميع الناس في قطاع غزة أنهم تابعين لحركة حماس بما فيهم الأطفال والنساء لتبرير قتلهم.

ولفت محفوظ أن القنوات الغربية الناطقة انحازت لصالح سياسية دولها وحاولوا إبعاد الجانب الإنساني في تغطيتهم لحرب غزة والتركيز على الصراع الموجود بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل للإيحاء أن القناة تغطي الحرب لكن في الواقع هي تنقل جزء من الأحداث لإشباع جزء من رغبة جمهورها، موضحاً أن هذا الانحياز وصل لدرجة نشر بعض الصور المفبركة لتشويه صورة الفلسطينيين من دون التحقق من الصور والمعلومات.

وذكر حسن محفوظ أنه طوال تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي كان الإعلام العربي بشقيه الخاص والرسمي متضامن مع الشعب الفلسطيني ومجمع على مظلوميته لسنوات وكان الإعلام الرسمي يعكس وجهة النظر الشعبية على الأقل في القضية الفلسطينية، لكن في حرب غزة انقسم الإعلام وأصبحت قنوات تغطي الكارثة الإنسانية في غزة وهي تغطية موضوعية ومهنية والاتجاه الثاني وهو الإعلام الرسمي تبنى موقف محايد من الحرب في غزة ولايغطي بالشكل الكافي للكارثة الإنسانية أما الاتجاه الثالث فهو سيء ويحاول في بعض تغطيتها التشكيك في ما يجري في قطاع غزة و إلقاء اللوم على المقاومة الفلسطينية.

وأشار محفوظ أن الكثير من المجازر التي تقع يوميا في قطاع غزة لاتصل للإعلام إلا بعد أيام بسبب العدد الكبير من المجازر وصعوبة تتبعها إضافة إلى قطع الاتصالات وصعوبة وصول الصحفيين لمناطق الأحداث بسبب قطع الطرق وغياب أجهزة البث وهذا ساهم في شح المعلومات مؤكداً على أهمية نشاط صحافة المواطن وترجمة التغطيات بلغات أخرى على منصات التواصل الاجتماعي لأنها هي السبيل لوصول الحقيقية للعالم.

فضفضة

خطوة نحو التوطين

عيسى الدرازي

خطوة نحو الاتجاه الصحيح تلك التي ستقدم عليها وزارة العمل باستحداث قرار يقضي بمزاولة عدد من المهن بعد اجتياز قياس مستوى المهارة والحصول على ترخيص بذلك، ولم تتوقف عند ذلك، بل اتجهت إلى أبعد، حيث سيتضمّن القرار، حسب تصريح الوزارة، سحب رخص العمل من أي أجنبي لا يجتاز اختبار قياس مستوى المهارة التي تتعلق بالمهنة التي يزاولها، وبررت الوزارة موقفها «بالحاجة لإيجاد معايير واضحة لتحديد الأشخاص المناسبين لمزاولة تلك المهن وبالتالي تحسين الجودة، وتقليص فجوة المهارات وخلق فرص وظيفية للبحرينيين».

المهن التي صرّحت عنها الوزارة هي مهن تتعلق بالإنشاءات والبناء والصيانة وتشغيل وصيانة الآلات، وكلها تصب في نوع معين من المهن التي تتطلب مهارة مناسبة لأداء العمل بصورة مناسبة، وهي فعلاً خطوة نحو الاتجاه الصحيح قد تمهد لخطوات أخرى أكثر فاعلية تصب في توطين بعض المهن استناداً إلى قرار صريح للاستفادة من الكم الهائل من خريجي تخصصات المحاسبة والحقوق وغيرها الذين لا يجدون موطأ قدم في سوق العمل المزدحم أساساً.

قرار الوزارة بتقييم مهارات العمال الأجانب خطوة جديرة بالاهتمام، إلا أنها تثير تساؤلات حول مدى استعداد الشركات لتبني هذه القرارات، فمن المتوقع أن تواجه بعض الشركات صعوبة في العثور على العمالة المؤهلة، خاصة في المهن الفنية. لذلك، من الضروري أن تترافق هذه القرارات مع برامج تدريبية مكثفة للشباب البحرينيين لتزويدهم بالمهارات المطلوبة لسوق العمل.

الحديث عن التوطين يجرّنا إلى ما أقرّته سلطنة عمان مؤخراً، حيث أصدرت وزارة العمل العمانية بياناً أعلنت من خلاله عدة قرارات بهدف «تنظيم سوق العمل بما يمكن العُمانيين من الالتحاق بالمهن والوظائف المناسبة لهم»، ومن تلك القرارات، التزام كافة وحدات الجهاز الإداري للدولة والشركات الحكومية بعدم التعاقد بشكل تام مع منشآت القطاع الخاص التي لا تلتزم بنسب التعمين المقررة من قبل الحكومة، وإضافة ما يزيد على 30 مهنة جديدة إلى قائمة المهن المحظور مزاولتها من غير العُمانيين، بالإضافة إلى تخفيض الرسوم على منشآت القطاع الخاص الملتزمة بقرار التعمين، ومضاعفتها على المنشآت غير الملتزمة.

توطين الوظائف في البحرين هو عملية مستمرة تتطلب جهودًا مشتركة من الحكومة والقطاع الخاص ومجلس النواب، على الرغم من التحديات التي تواجه هذه العملية، إلا أنها تبقى من أهم الأولويات لتحقيق مبادرة نوعية فعالة نحو الحدّ من معدلات البطالة وإيجاد مسار واضح للخريجين لدخول سوق العمل بسهولة ويسر.

وزير العمل: لا مزاولة للمهن إلا بترخيص واختبار

كشف وزير العمل جميل حميدان، أن فريقًا مشتركًا من عدّة جهات (وزارة العمل، تمكين، هيئة تنظيم سوق العمل، غرفة تجارة وصناعة البحرين)، يعمل على إعداد قرار جديد، لن يُسمح بموجبه بمزاولة أي مهنة إلا بترخيص واجتياز اختبار قياس مستوى المهارة.

وأفاد بأن القرار سيتضمّن سحب رخص العمل من أي أجنبي لا يجتاز اختبار قياس مستوى المهارة التي تتعلق بالمهنة التي يزاولها، وأنه سيتم منح تراخيص لمراكز خاصة ومعاهد وجامعات تقوم بممارسة نشاط قياس مستوى المهارة لمهنة أو عدد من المهن.

وأفاد الوزير بأن أهمية القرار الذي يجري الإعداد له تكمن في وجود نسبة كبيرة من العاملين في سوق العمل يعملون في تلك المهن الـ25، وأن سوق العمل بحاجة ماسة لتحديد معايير واضحة لتلك المهن، وذلك من أجل تحديد الأشخاص المناسبين لمزاولتها وبالتالي تحسين جودة المنتجات والخدمات المقدمة، إضافة إلى تقليص فجوة المهارات وخلق فرص وظيفية للبحرينيين في تلك المهن، فيما بين الوزير بأن هناك 3 مهن لن يشملها القرار، وذلك لوجود جهات حكومية أخرى معنيّة بمنح الرخص المهنية لها، وهي مهن الكهربائي والسباك، ومصلّح مكيفات الهواء.

«الأيام» - 17 يوليو 2024

مفوضية حقوق الإنسان: دول الخليج معنيّة بتحقيق المزيد

قال السيد مازن شقّورة الممثل الإقليمي لمكتب مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: بمناسبة الذكرى الـ 75 للإعلان العالمي لحقوق الإنسان السنة الماضية، قامت المفوضية بتجديد التزامات الدول وإعادة التأكيد على قيم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باعتبارها السبيل الوحيد لمعالجة تحديات الحاضر والمستقبل.

وأضاف: ان المادة 2 من الإعلان التي تنص على أن «لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات دون تمييز من اي نوع، ولاسيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسياً وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر»، لافتاً إلى أن مكافحة التمييز والعنصرية أمر بالغ الأهمية لتحقيق مجتمع عادل ومتساو، حيث يمكن لجميع الأفراد التمتّع بحقوقهم دون تمييز أو تحيّز.

جاء ذلك في كلمته خلال انطلاق «منتدى الحوار الإقليمي حول حقوق الإنسان: المساواة ومناهضة التمييز بما في ذلك في سياق الهجرة»، في الدوحة، وأشار إلى التقدم الملحوظ الذي حققته دول مجلس التعاون الخليجي في مجال حقوق الإنسان، ومن بينها مصادقة دول مجلس التعاون الخليجي جميعها على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري وتحقيق تقدم كبير في تنفيذها.

وتابع: نرى اليوم تطوراً في السياسات والممارسات التي تهدف إلى حماية حقوق جميع الأفراد، بمن في ذلك المهاجرون والمهاجرات، في المنطقة، وقد أنشأت عدة دول من مجلس التعاون الخليجي أُطُرا قانونية شاملة لمنع التمييز على أساس الأصل العرقي أو الجنسية، وتقوم بإجراء إصلاحات كبيرة في هذا الصدد.

ونوه بزيادة التفاعل من دول مجلس التعاون الخليجي مع آليات حقوق الإنسان، وأن هذا تطوّر إيجابي يفتح الباب للمزيد من التعاون في مجال بناء القدرات وزيادة الوعي بأهمية حماية حقوق الإنسان لجميع الأفراد، وأن هذه الجهود لا تسهم في تعزيز حقوق الإنسان فحسب، بل تساعد أيضاً على بناء مجتمعات أكثر تماسكاً وعدالة.

وقال شقورة: يأتي تنظيم المنتدى لمناقشة التمييز العنصري بشكل عام، المعايير الدولية لمكافحة العنصرية، الأطر القانونية للهجرة في المنطقة، والتجارب الايجابية والممارسات الجيّدة للدول ومؤسسات حقوق الانسان فيما يخص مكافحة التمييز العنصري.

ودعا شقورة جميع الجهات المعنية إلى مواصلة التعاون والعمل المشترك لتعزيز حقوق الإنسان في المنطقة، بما يسهم في تحقيق المزيد من التقدّم والنجاح في حماية حقوق الإنسان ومكافحة التمييز بجميع أشكاله، منوهاً إلى أن الجهود المشتركة ستؤدّي إلى تحقيق نتائج إيجابية ومستدامة لصالح جميع الأفراد في دول مجلس التعاون الخليجي.

«العرب» - 16 يوليو 2024

النقابات العمالية الأقرب لرصد المتغيرات بسوق العمل

أكّد عبدالمنعم الجمل رئيس الإتحاد العام لنقابات عمال مصر، بأن النقابات العمالية ليست بمعزل عن سوق العمل بل هي الترمومتر الحقيقي والكاشف لحقيقة ما يشهده سوق العمل من متغيرات من خلال قواعدها العمالية بالمنشأة والشركات ولهذا فهي الأقرب لرصد تلك المتغيرات.

وكانت منظمة العمل العربية قد أطلقت وبالتعاون مع الإتحاد العام لـنقابات عمال مصر، دورة تدريبية تحت عنوان «دور النقابات العمالية في إطار الأنماط الجديدة للعمل». وأشار الجمل إلى أن: «الفترة المقبلة تتطلب تعاونا مشتركا بين النقابات العمالية ومنظمة العمل العربية لعقد ورش عمل وحلقات نقاشية توعوية حول الأنماط الجديدة للعمل لتنمية الوعي لدي القواعد العمالية بالجديد في سوق العمل وكيفية التعامل معه».

يذكر إلى أن الدورة التدريبية كانت قد هدفت إلى طرح التحديات التي تواجه أسواق العمل العربية، ومعالجة المشكلات التي تواجهها، والتعرف على دور النقابات العمالية في ظل الأنماط الجديدة للعمل، وتأثيرات التكنولوجيا الحديثة على أسواق العمل العربية: الأنماط الجديدة للعمل، بالإضافة إلى رصد التطورات في سوق العمل من حيث الأنماط الجديدة للعمل، وكذلك تطوير وتطبيق أنظمة فعالة لمواكبة التغيرات الحديثة، والتوعية بالاتفاقية الجديدة المتعلقة بأنماط العمل الجديدة.

وكالات/ صحف مصرية - 15 يوليو 2024

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

مطالبات بشمول عمّال التوصيل ومحطات الوقود بقرار حظر العمل بالظهيرة

دعا قياديون نقابيون بشمول أصحاب بعض المهن ضمن قرار حظر العمل في الظهيرة، حيث يُعمل به سنويًا من الأول من يوليو وحتى نهاية أغسطس.

واعتبر النقابيون في تصريحات للأيام بأن بعض المهن التي يقضي العمال فيها ساعات طوال في الشمس أو في الخارج تتطلّب شمولها في قرار حظر العمل في الظهيرة، وأبرزها مهنة توصيل الطعام في الدراجات النارية وعمّال محطات الوقود.

وأشاروا إلى أن بعض الدول في المنطقة اتجهت لحظر تشغيل عمال الدراجات النارية خلال فترة الظهيرة، ما يستلزم دراسة شمولهم في القرار، وأكّدوا أن التدابير الوقائية المتبعة في مملكة البحرين تُعتبر من التشريعات المتطورة، إلّا أن ثمّة حاجة لمزيد من تطوير تشريعات السلامة المهنية.

وأشار النقابي عبدالله المعراج إلى أن: «قرار حظر العمل وقت الظهيرة واضح وهو حظر العمل في الأماكن التي ترتفع فيها درجات الحرارة فوق المعدل المسموح به لممارسة العمل بشكل طبيعي، وتكون حارة نسبيًا عن المعدلات العادية»، موضحاً: «بأن القرار ليس فقط ينطبق على الأماكن المكشوفة كما يعتقد البعض، إنما يكون شاملًا لجميع مواقع العمل الحارة».

وطالب المعراج بضرورة مراجعة القرارات والتشريعات التي تصب في صالح الطبقة العاملة، وذلك لتتماشى مع المرحلة الراهنة، كتوقيت حظر العمل وقت الظهيرة ليبدأ من منتصف شهر يونيو إلى منتصف شهر سبتمبر على أقل تقدير، وذلك حفاظًا على سلامة وأرواح العاملين من الإجهاد والإنهاك الحراري، والوقاية من ضربات الشمس.إضافة على ذلك أشار إلى إنه يجب أن يشمل القرار العاملين في شركات توصيل الطلبات سائقي الدرجات النارية تحديدًا، فيجب على صاحب العمل وقف العمل خلال فترة الظهيرة لسائقي الدراجات النارية فهم يتعرضون لأشعة الشمس ودرجة حرارة عالية، تؤثر سلبًا على صحتهم وسلامتهم.

«الأيام» - 30 يونيو 2024

المادة (٦) من قانون الجنسية والشبهة الدستورية

بالنظر إلى النقاش الدائر راهناً حول ملف التجنيس، نعيد نشر هذه الورقة نظراً لأهمية محتواها، حيث سبق أن قدّمها كاتبها المحامي حسن إسماعيل، باسم المنبر التقدمي، في ورشة عمل حول التجنيس بتنظيم من ست جمعيات سياسية انعقدت في ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٨، تحت شعار (نحو رؤية وطنية في التجنيس)، في مقر جمعية "وعد".

التقدمي

حسن إسماعيل

يعتبر ملف التجنيس من أهم الملفات التي حظيت بالاهتمام الشعبي الواسع، لما له من انعكاسات خطيرة، وآثار سلبية على المجتمع البحريني، لسنا هنا بصدد مناقشتها في هذه الورقة إلا أنه من اللازم إن نشير إلى أن مجلس النواب من خلال لجنة التحقيق التي شكّلها بشان التجنيس في الفصل التشريعي المنصرم (المقصود هنا الفصل التشريعي الأول) وبعض الجمعيات السياسية ومنظمات حقوق الإنسان، كان لها دور مهم، كل بحسب موقعه، في الكشف عن تجاوزات السلطة التنفيذية في منح الجنسية خلافاً للقانون، ودون اعتبار لواقع البحرين الاقتصادي والاجتماعي.(انظر في ذلك تقرير مركز البحرين لحقوق الإنسان الصادر بتاريخ 21- 3- 2004 بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري).

غير أن الذي يلفت الانتباه في تقرير لجنة التحقيق النيابية بشان التجنيس، أن من بين (1100) ملف أو حالة تجنيس فحصتها اللجنة، توجد (42) حالة تمت بأوامر ملكية، و(6) حالات أخرى بأوامر من سمو رئيس الوزراء وسمو ولي العهد، والتي اعتبرها ممثل الإدارة العامة للهجرة والجوازات في مرافعته أمام مجلس النواب عند مناقشة تقرير اللجنة، بأنها قانونية، صدرت حسب نص المادة (6) من قانون الجنسية البحرينية، الصادر في 16 سبتمبر 1963، والتي تنص في فقرتها الأولى على انه: يمكن بأمر عظمة الحاكم منح الجنسية البحرينية لكل أجنبي كامل الأهلية على أن تتوافر فيه شروط الإقامة المشروعة في البلاد مدة 25 سنة متتالية، او15 سنة متتالية على الأقل إن كان عربياً، وان يكون حسن الأخلاق، وان يعرف اللغة العربية معرفة كافية، وان يكون له في البحرين عقار ثابت مسجل باسمه. كما تنص في فقرتها الثانية على انه: يمكن لعظمة الحاكم حتى وان لم تتوافر الشروط الواردة في الفقرة السابقة إن يأمر بمنح الجنسية لأي شخص ولأي عربي أدى للبحرين خدمات جليلة.

وإذا كانت حالات منح الجنسية بأوامر ملكية قد جاءت قانونية، ومتوافقة مع ما تقضى به المادة المذكورة حسب منطق الجهة الرسمية، وحسب ما أكده تقرير لجنة التحقيق النيابية، باستثناء ما أشار إليه هذا التقرير من وجود تجاوزات في بعض من حالات التجنيس التي تمت على خلاف أحكام المادة المشار إليها، مثل عدم استكمال المدة القانونية، وعدم وجود ما يثبت الإقامة، وعدم التدقيق في إجادة طالب الجنسية للغة العربية، وفي منح الجنسية بغير أمر من الملك، إلا أن هذه المادة – المادة (6) من قانون الجنسية – بما تنص عليه من تمكين لعظمة الحاكم بمنح الجنسية بموجب أمر يصدر منه، ليس له مكان أو محل في الدستور، وان استمرار العمل بهذه الأداة في منح الجنسية البحرينية منذ إصدار دستور 1973، مروراً بدستور 2002، وحتى يومنا هذا، يشكّل تجاوزاً لقواعد وأحكام الدستور، وهي مسالة دستورية، لم تتوصل إليها لجنة تحقيق النيابة شأنها في ذلك شأن الفعاليات السياسية والمنظمات الحقوقية والمختصين الذين تناولوا قضية التجنيس في البحرين من جانبها القانوني.

وهذه المسالة الدستورية تتمثل في إن منح الجنسية بأوامر من رئيس السلطة التنفيذية، منذ تاريخ صدور أول دستور للبلاد، وحتى اللحظة، ليس له سند في الدستور، سواء كان ذلك في دستور 1973، أم في دستور 2002، ذلك إن هذين الدستورين قد حددا على سبيل

الحصر الاختصاصات التي يحق لرأس الدولة إن يباشرها منفرداً بأمر أميري، أو ملكي، وليس من بينها اختصاص منح الجنسية، وهو الوضع الذي يجعل فيما نصت عليه المادة (6) من قانون الجنسية البحرينية بسلطة (عظمة الحاكم) بمنح الجنسية مطعون فيه بعدم الدستورية.

وليس غريبا إن يأتي النص القانوني المذكور مخالفاً لأحكام الدستور، ذلك أن قانون الجنسية الذي يشمل هذا النص قد صدر قبل الاستقلال، وقبل (10 سنوات) على إصدار دستور 1973، و (39 سنة) على إصدار دستور 2002، وهو الوضع الذي يحتاج إلى إعادة نظر ليس في نص المادة (6) من هذا القانون، بل في جميع نصوصه، بحيث يكون متوافقاً مع أحكام الدستور ويستجيب للإصلاح الحقيقي شأنه في ذلك شأن القوانين الأخرى التي شرعت في ظل الاستعمار البريطاني أو تلك التي جاءت مقيدة للحريات.

ولعله من المفيد أن نشير توضيحاً لرأينا بعدم دستورية المادة (6) من قانون الجنسية إلى الاختصاصات التي يباشرها رأس الدولة منفرداً بأوامر والتي حددها الدستور على سبيل الحصر ولا يجوز للقانون إن يتوسع فيها وهي كما يلي:

أولاً: في دستور 1973: يحقّ لسمو الأمير أن يباشر اختصاصين بأمر أميري، وليس من بينهما الأمر بمنح الجنسية، هما:

1. تعيين سمو رئيس الوزراء وإعفائه من منصبه (مادة 33 فقرة ب).
2. تعيين نائب يمارس صلاحياته في حالة تغيبه خارج البلاد وتعذر نيابة سمو ولي العهد (مادة 34 فقرة أ)

ثانياً: في دستور 2002 أضيف إلى الاختصاصين المنصوص عليهما في دستور 1973 ثلاثة عشرة اختصاصاً يباشرها جلالة الملك بأمر ملكي وليس من بينهم الأمر بمنح الجنسية:

تعيين وإعفاء أعضاء مجلس الشورى (مادة 33 فقرة و).

2- تعيين رئيس مجلس الشورى (مادة 54 فقرة د).

تعيين القضاة (مادة 33 فقرة ح).

4- إنشاء ومنح واسترداد الرتب المدنية والعسكرية وألقاب الشرف (مادة 33 فقرة ي)

5- تنظيم الديوان الملكي (مادة 33 فقرة م).

6- إجراء الانتخابات لمجلس النواب (مادة 42 فقرة أ).

7- دعوة المجلس الوطني للاجتماع (مادة 42 فقرة ب).

8- مدّ الفصل التشريعي لمجلس النواب لمدة لا تزيد على سنتين (مادة 58 فقرة أخيرة).

9- دعوة مجلس الشورى أو مجلس النواب إلى اجتماع غير عادي (مادة 75).

10- إعلان فضّ أدوار الانعقاد العادية وغير العادية (مادة 76).

11- تأجيل اجتماع المجلس الوطني مدة لا تتجاوز شهرين (مادة 90).

12- تعيين رئيس وأعضاء محكمة الدستورية (مادة 106).

13- دعوة المجلس الوطني للانعقاد في غير الحالات التي ينص عليها الدستور (مادة 101).

وإذا كان الدستور صريحا واضحاً في بيان الاختصاصات التي يحقّ لرأس الدولة أن يباشرها منفرداً بأداة الأمر، وليس من بينها منح الجنسية على نحو ما أسلفنا، وكانت المحكمة الدستورية قد قضت في أول حكم لها بتاريخ 26 ابريل 2004 (بأن قضاء المحكمة الدستورية بعدم دستورية أي نص في قانون أو لائحة هو نوع من قضاء الإلغاء إذ يترتب على حكمها تجريد النص المقضي بعدم دستوريته من قوة نفاذه ليؤول، ويحوز هذا الحكم حجية مطلقة قبل جميع سلطات الدولة والكافة، وهذه الرقابة القضائية الدستورية تمتد إلى جميع التشريعات السابقة أو اللاحقة لصدور الدستور بقصد تنقيتها من مخالفتها لقواعد الدستور الواجب احترامها وحمايتها في الحدود السالفة البيان ....).

إذا كان ذلك، فأن ما قررته لجنة التحقيق النيابية في تقريرها باستبعاد العديد من تجاوزات التجنيس التي وقعت قبل أول اجتماع عقده المجلس الوطني في 14 ديسمبر 2004، هو من أهم نواقص وسلبيات التقرير، ذلك أن المادة (45) من قانون مجلسي الشورى والنواب والتي استندت عليها اللجنة في قرارها المذكور، وان كانت تحول دون رقابة المجلسين على أعمال وتصرفات أعضاء السلطة التنفيذية التي وقعت قبل تاريخ انعقاد المجلسين، إلا إن ذلك لا يمنع مجلس النواب من استعمال حقه الذي نص عليه الدستور، في اللجوء إلى المحكمة الدستورية، للطعن في دستورية القوانين، سواء كانت سابقة أو لاحقة لأول اجتماع يعقده المجلس الوطني، ومنها بالطبع نص المادة (6) من قانون الجنسية البحرينية، بطلب الحكم بإلغائه، وإلغاء ما ترتب على العمل به من آثار.

ولا ينال من هذا الرأي القول بأن للدولة سلطة تقديرية مطلقة في منح الجنسية لطالب التجنس أو رفض منح هذه الجنسية لأنها وحدها صاحبة الاختصاص في جميع مسائل الجنسية، ومنها منح الجنسية عن طريق التجنس، في ضوء احتياجاتها ومصالحها وأهدافها الوطنية، وأن ذلك من أعمال السيادة، فهذا القول على صحته فإن هذه السلطة التقديرية للدولة في منح الجنسية يتعين ألا تكون بمنأى عن النص على حق رأس الدولة في الدستور في منحها بأمر شأنها شأن الأوامر التي نص عليها والمشار إليها فيما سلف، ويكون ذلك طبقا للشروط والأوضاع التي يحددها القانون.

السلطة التقديرية للدولة في منح الجنسية يتعين ألا تكون بمنأى عمّا نصّ عليه الدستور

مطرقة البرلمان

الاستثمارات الأجنبية...الهواجس والتحديّات

عبدالنبي سلمان

في قراءة المشهد الاقتصادي وعملية التنمية الشاملة، وحدها الأرقام والإحصائيات يمكن أن تفصح عما يراد إيصاله من رسائل ومعطيات بغرض متابعتها على الأرض، لكن بالنسبة لنا في مملكة البحرين يصعب أحيانا فهم طبيعة المشهد الاقتصادي وتوجهاته المستقبلية من خلال ما يقدّم من أرقام ومعطيات، وذلك لاعتبارات عدّة ربما لا يدركها سوى المتابع المختص للشأن الاقتصادي أو رجال الاعمال المنغمسين في دهاليز وتحديات الوضع الاقتصادي وما يحيطه من تفاصيل يومية، أو ما يعتريه من عوار وأزمات تكون أحياناً مزمنة، يبقى بعضها بدون ادنى معالجات، وذلك لأسباب مختلفة لا يتسع المقام للتفصيل فيها.

مناسبة هذا الحديث هو ما أعلن مؤخرا وعلى دفعات من معطيات وتحديثات، من قبل كلّ من مجلس التنمية الاقتصادية بداية، وهو الجهة المعنية بدراسة الوضع الاقتصادي والاستثماري في البحرين، وسرعان ما أكدها تقرير إدارة الدراسات والبحوث في مركز البحرين للدراسات.

وحتى نفهم طبيعة تلك التصريحات المتفائلة إلى حد كبير، علينا بداية أن نتفهم حق تلك الجهات في إعطاء صورة موضوعية، لكي لا نقول وردية، قدر الإمكان عن جملة من أوضاعنا الاقتصادية والتنموية. بيانات مجلس التنمية الاقتصادية لدينا تقول بوضوح إن الناتج المحلي الإجمالي الاسمي للبحرين زاد من 11 مليار دولار اميركي خلال الفترة بين عام 2003 ليصل الى 43 مليار دولار اميركي في العام 2023 وبمتوسط نمو بلغ 7٪ متجاوزاً متوسط النمو العالمي الذي بلغ 5٪ ، وأن مملكة البحرين استقطبت تدفقات استثمارية اجنبية مباشرة في 2023 بلغت6.8 مليار دولارا، متجاوزة قيمة تلك التدفقات في العام الذي سبقة 2022 (مع نهاية جائحة كورونا) بنسبة 148٪، بحسب تقارير الاونكتاد.

من جهته عزا تقرير إدارة الدراسات والبحوث في مركز البحرين للدراسات ذلك إلى أمور عدّة من بينها الثقة التي أوجدها برنامج التوازن المالي للمستثمرين الأجانب، وكذلك استثمار البحرين في مشاريع الطاقة المتجددة، كما أوضح أن جميع القطاعات في البحرين تستطيع استقطاب استثمارات أجنبية، وهناك أولوية للاستثمار في القطاعات الأساسية مثل قطاعات الصحة وتقنية المعلومات وغيرها، وأن البحرين باتت بيئة جاذبة للاستثمارات نظراً لما تتميز به من تشريعات متقدمة تدعم التنوع الاقتصادي المنشود!

ونحن إذ نسعد لمثل تلك المعطيات، ولا نريد أن ننفيها جملة وتفصيلاً، إلا أن الأمر يتطلب منا القول إنها ربما تبالغ، أو حتى تتعارض مع أمور ومؤشرات عديدة ومعوقات لا حصر لها، بتنا نسمعها من قبل مستثمرين، عرباً وأجانب، وفي الأغلب من تجار محليين، وحتى من قبل مسؤولين أحيانا، يتحدثون عن تراجعات واخفاقات لا حصر لها، لكن الأهم في كل هذا هو أن تلك المعطيات التي تقدّمها تلك الجهات وكأنها حقائق معاشة لا يمكن أن تصمد امام ما يتابعه الجميع تقريبا، من مؤشرات وبيروقراطية وإعاقات ووجوه فساد متعددة، علاوة على ما نشهده من مديونية عامة متضخمة وعجوزات لا نعرف الى أين تاخذنا!!

علاوة على ما يشهده سوق العمل من فوضى عارمة تستدعي مراراً وتكراراً استصدار قرارات تنظيمية لم تتوقف، في حين تستمر بشكل تصاعدي معضلة البطالة في أوساط الخريجين الشباب، وتتراجع الأجور بالنسبة للبحرينيين على أرض الواقع مع ندرة الفرص النوعية التي وعدوا بها بحسب رؤية البحرين 2030، في الوقت الذي تستشري فيه ظاهرة هيمنة الأجانب على مفاصل وقطاعات مهمة ورئيسة في سوق العمل، يقابلها تجاهل قاتل وعجز عن التشخيص الأمين لإيجاد العلاجات الناجعة القادرة على إدارة المشهد العام لسوق العمل البحريني بشكل أفضل.

تتصاعد معضلة البطالة في أوساط الخريجين الشباب.. وتتراجع أجور العاملين البحرينيين مع ندرة الفرص النوعية التي وُعدوا بها بحسب رؤية ٢٠٣٠

وذلك ما نجد له مؤشراً واضحاً في التصريح الأخير لوزير العمل، وهو الوزير المعني مباشرة بالبطالة ودعم توظيف البحرينيين في القطاع الخاص، والذي أوضح ضرورة تحديد رخص وامتحانات لعدد من المهن الموجودة في السوق، وهو يعلم جيداً أنها مهن وحرف غادرها البحرينيون منذ سنوات للأسف نتيجة لضعف الأجور أولاً، ولإهمال تدريب البحرينيين وتمهينهم عليها ثانياً طيلة عقود مضت، ولأسباب ثقافية واجتماعية معروفة، غادروها منذ سنوات طويلة، سمح خلالها للعمالة الأجنبية غير الماهرة في معظمها بالهيمنة والتدرب واكتساب الخبرات، وترافق ذلك مع إغراق السوق حتى الثمالة بها، مما استدعى إعطاء الوافدين حق فتح سجلات ورخص عمل لدوافع غير مفهومة، وبالتالي يصبح التصريح الوزير هذا دليلا على قلة الحيلة، حيث انه لا يقدم علاجاً ولا أملاً لشبابنا بقدر ما يقدم المزيد من الإحباط ويشي بمزيدٍ من التخبط في سياسات سوق العمل، التي آن لها أن تدار بشكل مغاير، من شأنه أن يعيد الثقة في السواعد والكفاءات البحرينية ويعيد هيكلة السوق على أسس تكفل بالفعل حل المعضلة الأكبر للاقتصاد الوطني وهي البطالة، فحلّها هو حجر الزاوية لبناء اقتصاد قوي يعتمد على ما هو متوفر من أيدٍ عاملة محلية بالدرجة الأساس، ويستطيع أن يدلل على قوته وتنوعه بعيداً عن الإتكاء دائماً وأبداً على أسعار النفط التي تبقى عرضة لظروف العرض والطلب كما هو معروف.

نقولها بوضوح آن الأوان لمواجهة تحدياتنا ومشاكلنا الشاخصة بشيء من الشفافية والوضوح والمسؤولية بدلاً من الركون لمعطيات وأرقام لم ولن تقدم سوى الترويج الزائف، الذي نعلم جميعا أنه سرعان ما سيرتد مدويا باحثا عن علاجات متجذرة من تربة هذه الارض وبسواعد ابناءها!!.

بصراحة

التجنيس خطـــأ كبيـــر بحقّ الـــوطـــن والشعـــب

الحديث عن التجنيس في البحرين ليس بجديد. سبق أن كتبتُ في نهاية تسعينيات القرن الماضي، وفي عام ٢٠٠٢، وفي عام ٢٠٠٥، عن مخاطره وأبعاده وآثاره السلبية والخطيرة على الوطن والشعب. ذات يوم من عام ٢٠٠٢ بعد صدور دستور مملكة البحرين في فبراير من نفس العام، كنت أتبادل الحديث أو الحوار مع شخصية قيادية معارضة عن التجنيس، قلت له بأن التجنيس أخطر من الدستور الصادر بإرادة ملكية، كانت هناك معارضة للدستور من قبل أطراف عدة في المجتمع وقت صدوره، قال لي كيف ذلك؟، أجبته: تكمن خطورة التجنيس بأن المجنسين سوف يصبحون مواطنين بعد عدة سنوات، عشر أو عشرين وأكثر، ومن الصعوبة إسقاط أو سحب الجنسية منهم، إلا في حالة الخيانة للوطن وربما توجد معطيات أخرى، ولكن الدستور يمكن تغيير مواده بعد سنوات عدة من خلال هذا الجيل أو الأجيال القادمة .

الطامة الكبرى التجنيس وتبعاته السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والصحية والإسكانية وخلق إشكاليات في المجتمع، فالبحرين مساحتها صغيرة ولديها كثافة سكانية كبيرة، لا يمكن أن تستوعبَ هذه الإعداد الكبيرة من المجنسين وبالآلاف، والدولة لا تستطيع توفير الخدمات الأساسية لأبنائها، فكيف الحال للمجنسين. بسبب التجنيس أصبحت الدولة عاجزة عن توفير حتى أدوية علاجية للمواطنين، ناهيك عن رفع الدعم عن بعض المواد والسلع الضرورية، وارتفاع الأسعار وازدياد التضخم، ورفع الرسوم واستحداث رسوم جديدة والضرائب، التجنيس سبب رئيسي فيما يحدث من أوضاع معيشية صعبة تعاني منها أعداد كبيرة من المواطنين، غير السلوكيات الطارئة على مجتمعنا، فالشعب البحريني معروف بالطبية وحسن الأخلاق، ماحدث بعد التجنيس كارثة مجتمعية آثارها واضحة في البلاد.

لم تفعلها أي دولة خليجية بأن جنَّست هذه الأعداد المهولة ومن جنسيات مختلفة، وهناك تساؤلات وأحاديث تطرح في المجالس والسوشال ميديا، هل التجنيس تمَّ وفق قانون الجنسية الصادر في عام 1963، وماهي مؤهلات المجنسين، وهل البلاد في حاجة لهؤلاء المجنسين، ولماذا مراجعة ملفات المجنسين حالياً، حسب تصريح معالي وزير الداخلية الصادر فى 18 يونيو 2024 بمراجعة جميع حالات اكتساب الجنسية البحرينية اعتباراً من 2010 بسبب اكتشاف من تحصَّلوا عليها بالمخالفة للقانون.

جاء في التصريح: (بناء على ما أسفرت عنه نتائج التحريات والمراجعات التي قامت بها شئون الجنسية والجوازات والإقامة للحاصلين على الجنسية البحرينية والتي تبين من خلالها وجود أشخاص تحصلوا على الجنسية البحرينية بالمخالفة للقانون أو من خلال تقديم معلومات وبيانات غير صحيحة أو مستندات مزورة، وعلى أثر ذلك فقد شكل معالي وزير الداخلية لجنة لمراجعة جميع حالات اكتساب الجنسية البحرينية اعتبارا من عام 2010 للتأكد من صحة البيانات والمستندات التي تم على اساسها نيل شرف الجنسية البحرينية لاتخاذ ما يلزم بهذا الشأن).

شيء جيد تشكيل لجنة وإن جاءت متأخرة من قبل وزارة الداخلية، رحب شعب البحرين بها، نأمل أن تحقق المرجو منها، لكي يطمئن المواطنون على مستقبلهم في هذا الوطن .في العديد من دول العالم هناك تجنيس، ولكن الذين يتم تجينسهم وفق معايير وشروط، ولديهم مؤهلات علمية وأكاديمية، لا تتوفر لدى أبناء تلك البلدان التي تمَّ فيها التجنيس، وتكون إضافة نوعية لتطوّر وتقدّم البلاد ويستفيد منها المواطنون قبل المجنسين الجدد في بلادهم، وهناك من قدم خدمات كبيرة في مجالات وميادين عدة، هؤلاء يستحقون التجنيس .

الذي حدث في بلادنا يختلف عن أي تجنيس حصل في دولة من دول العالم، و إن حدث وفق أسس صحيحة وواضحة ، بعكس التجنيس العشوائي عندنا الذي أضرَّ بالدولة والمواطنين وبدأت آثاره السلبية تبرز في المجتمع وتشكل قلقاً كبيراً في أوساط المواطنين، وتحرج الحكومة أمام دول الجوار الخليجية، فهم يعرفون أخلاقيات وسلوكيات أبناء البحرين.

لهذا ليس غريباً بأن يرحب المواطنون في المجالس ووسائل التواصل الاجتماعي، بتصريح معالي وزير الداخلية المذكور سلفاً، والذي نأمل بأن يكون بمثابة حركة تصحيحية لخطأٍ كبيرٍ بحق الوطن والمواطنين.

فاضل الحليبي

تساؤلات يطرحها المواطنون: هل التجنيس تمَّ وفق قانون الجنسية الصادر في عام ١٩٦٣، وماهي مؤهلات المجنسين، وهل البلاد في حاجة لهؤلاء المجنسين؟

(قف)

إشاعة المخاوف الأمنية بين الحلفاء

وفقًا لما ذكرته وكالة الأنباء الصينية «شينخوا»، في هذا العام، ارتفع الإنفاق العسكري لمنظمة حلف شمال الأطلسي «الناتو» إلى عنان السماء. لقد ارتفع الإنفاق الدفاعي في جميع أنحاء أوروبا وكندا بنسبة ١٨ في المائة. وهي أكبر زيادة منذ عقود، هكذا قال الأمين العام لحلف الناتو ينس ستولتنبرغ خلال زيارته الأخيرة للولايات المتحدة .

ولم يقم الأمين العام للناتو بتنميق الكلام حول أين ذهبت الأموال، وذكر أن "الكثير من هذا الإنفاق الدفاعي المتزايد يتم إنفاقه هنا في الولايات المتحدة "، مشيرًا الى أن ٢٣ حليفًا سيحققون هدف إنفاق ما لا يقل عن ٢ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي على الدفاع في عام ٢٠٢٤.

فهد المضحكي

في الواقع، يتمثل أحد الدوافع الرئيسية وراء الزيادة الكبيرة في الإنفاق العسكري لحلف الناتو في استمرار لجوء الولايات المتحدة لسياسة إشاعة الخوف لتعزيز "القلق الأمني" بين حلفائها، وذلك لمصلحتها الخاصة في المقام الأول. من خلال اختلاق أعداء وهميين وزيادة إشاعة الخوف، تجبر الولايات المتحدة أعضاء الناتو على زيادة إنفاقهم العسكري.

خلال الأزمة الأوكرانية، تسبب الخوف الذي نَشرته الولايات المتحدة في انغماس الحلفاء في المخاوف الأمنية، مما دفعهم إلى تعزيز استعدادهم العسكري. وقد افاد هذا الصناعات الدفاعية الأمريكية بشكل كبير. وعلى مدى العامين الماضيين، وقع الحلفاء الأوروبيون عقودًا مع شركات أمريكية بقيمة 140 مليار دولار.

لذلك، ليس من المستغرب أن يعترف الأمين العام لحلف الناتو بأن "الناتو جيد لأمن الولايات المتحدة، وجيد للصناعة الأمريكية، وجيد للوظايف الأمريكية».

بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية، تعزز الولايات المتحدة أيضًا الاعتماد الأمني بين حلفائها من خلال التلاعب بإستراتيجياتهم الأمنية من أجل الحفاظ على مكانتها المهيمنة في العالم الغربي. لنأخذ فنلندا والسويد كمثال. انضمت هاتان الدولتان المحايدتان إلى حلف الناتو بعد أن نجح التحالف العسكري الذي تقوده الولايات المتحدة في جرّ روسيا إلى الحرب مع أوكرانيا.

في معرض "يوروساتوري" الذي عُقد في باريس، وهو معرض تجاري للدفاع الجوي والبري وكذلك صناعة الأمن، برزت الولايات المتحدة كأكبر عارض بعد فرنسا، البلد المضيف. وقد حوّل الوجود الأمريكي القوي هذا المعرض إلى رمز لتبعية أوروبا، حسبما ذكرت صحيفة "لو فيغارو" الفرنسية.

في الواقع، تخفي سياسة الولايات المتحدة لإشاعة الخوف تكتيكات مدبرة بعناية للتضحية بالحلفاء من أجل مكاسب ذاتية، مما يجعلها متباينة بشكل صارخ عن مصالح حلفائها.

تحت قيادة الولايات المتحدة، تقدم النانو باستمرار بإتجاه روسيا، مما أدى إلى حدوث الأزمة الأوكرانية، وإعادة الصراعات في أوروبا. وباستغلال هذا الوضع، عكفت الولايات المتحدة على تزويد حلفاء الناتو بالأسلحة، الأمر الذي يحوّل أوروبا فعليًا إلى برميل بارود على وشك الانفجار.

وفي واقع الأمر، فإن زيادة الإنفاق العسكري لا تؤدي بالضرورة إلى مزيد من الأمن. ولا يمكن تحقيق الأمن من خلال العسكرة الأحادية لأن ذلك سيدفع الدول الأخرى إلى اتخاذ إجراءات مماثلة.

أما بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة، فإن تحويل موارد كبيرة إلى الدفاع يقود إلى إهمال الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية المحلية الأساسية، مما قد يؤدي إلى استياء الجمهور وتزايد عدم الاستقرار .

ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة تسعى إلى توسيع إستراتيجية إشاعة الخوف هذه لتشمل المزيد من المناطق سعيًا لتحقيق أهدافها المزدوجة المتمثلة في بناء التحالفات وبيع الأسلحة.

وتكشف الخطوة الأمريكية عن عقلية الحرب الباردة العنيدة التي تخاطر بتصعيد التوترات الدولية وتدهور الأمن العالمي ودفع المزيد إلى سباق تسلح، مما يهدد السلام والاستقرار العالميين.

مأزق التغيير العربي

كل ما راهن عليه الشباب العربي في غير دولة من دول المنطقة، من أجل التغيير، يبدو اليوم وكأنه مجرد رغبات حول استحقاق تاريخي مطلوب، لكن دونه كوارث، أخرجت دولاً من كيانيتها وسيادتها، ووضعت مجتمعاتها في مهب المجهول.

حسام ميرو

مؤخراً، السودان يصل إلى هذه النتيجة، على خطى دول أخرى، ولم تشفع له إرادة القوى المدنية في إحداث انتقال سلمي للسلطة، وفتح صفحة جديدة في تداول السلطة، والاهتمام بالاقتصاد والتنمية، والعمل على تحقيق رفاهية الشعب بدلاً من إفقاره، ووضع أسس لاستقرار مجتمعي مديد، بدلاً من تحويل عشرات الآلاف وربما مئات الآلاف إلى نازحين ولاجئين، في تكرار للسيناريو ذاته الذي عرفته شعوب شقيقة.

مفهوم أن يكون التغيير السياسي أو المجتمعي أو كليهما في أزمة، ليس فقط في عالمنا العربي؛ بل في معظم دول العالم، فالأزمات، كما هي تعبير عن مشكلات موجودة، هي في حالات كثيرة تعبير عن حيوية المجتمع، لكن أن تتحوّل الأزمات إلى مآزق، يستعصي معها، ليس فقط حل الأزمات؛ بل جعلها سبباً في هلاك البشر، وتكسير أسس الوفاق المجتمعي، وهدم الدول، فهذا يستدعي تحليلاً آخر لمجمل البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وعدم الركون إلى تحليلات أحادية، من قبيل أن ما شهدته المنطقة في مسعاها للتغيير، كان فقط صراعاً على السلطة.

يمكن استسهال التحليل، والذهاب به إلى سياق يضع المجتمع والسلطة كضدين لا يلتقيان، وينفي أحدهما الآخر، ما يعني بالضرورة حينها إلقاء اللوم كاملاً على أحدهما، كأن نتهم المجتمع بعدم النضوج من أجل إحداث التغيير، أو أن نجعله بريئاً، ونلقي اللوم كاملاً على السلطات السياسية، لكن هذا الاستسهال، إضافة إلى كونه موقفاً ثقافياً سياسياً بامتياز، ينطلق من موقف منحاز لطرف ضد الآخر، فهو موقف مضاد للمعرفة؛ إذ من الصعوبة بمكان؛ بل من الخطأ الفادح، وعي المجتمع والسلطة ككيانين منفصلين، يعملان بطريقتين مختلفتين في إنتاج قيمهما الخاصة.

تحليل هذا الفهم الأحادي، وتفكيك أسسه النظرية، ودحض مساراته العملية، أمر راهن اليوم لفهم أسباب ما نحن فيه، لكن هذه العملية ليست أمراً تكتنفه صعوبات كثيرة، بسبب تعقيدات البنيتين الاجتماعية والسياسية فقط؛ بل أيضاً بسبب راديكالية القوى المدافعة عن هذا الفهم الأحادي، فالقوى التي تبرئ المجتمع، بمنظومته وقيمه، وتحمّل السلطة السياسية وزر معاندة التغيير، هي تدافع عملياً عن منظومة قيم غارقة في معظمها في التقاليد السلطوية الهرمية، وتعاند التطورات الثقافية والقيمية الحداثية.

في المقابل، فإن القوى المدافعة عن الأنظمة السياسية في مواجهة التغيير، تستسهل اتهام المنظومة الاجتماعية بعدم النضج، وعدم الجهوزية للتغيير، وقد لا يكون هذا الرأي خاطئاً كلياً، لكنه يغفل مسألة بنيوية أساسية، وهي أن أي نظام سياسي هو تعبير أعلى، أو بنية فوقية، تعلو البنى الأخرى، لكنها جزء لا يتجزأ منها، وأن وجودها تأسس على تلك البنى، بتوازناتها وقيمها، كما أن القوى المتبنية لهذا التحليل، تكرّس من الناحية العملية مصالح النخب السياسية الحاكمة.

وضع المجتمع والسلطة في حالة ضدية، يغيّب السؤال حول معنى التغيير المنشود؛ حيث يتم شطب فكرة التقدم، لمصلحة تقديم سرديات حول المجتمع والسلطة، ترفع من قداسة أحدهما، لتشيطن الآخر، بينما وضع فكرة التقدم كأساس وبوصلة وهدف لعملية التغيير، يجعل من الممكن فعلياً التعامل مع المجتمع والسلطة السياسية بوصفهما منظومة، يستهدفها الفعل التغييري، أي أنه يستهدف تفكيك التقاليد السلطوية وإرثها الفكري والثقافي والمجتمعي، والتي لا تزال تقف عائقاً تاريخياً أمام فكرة التقدم التاريخي.

إن وضع فكرة التقدم التاريخي، بركائزها الثلاث، العقلانية والحداثة والكونية، كوحدة قياس لمفهوم التغيير، من شأنها أن تكشف مدى التطابق في وعي الفريق الذي يرى التغيير مسألة سياسية محضة، أو الذي يراه رهناً فقط بتطور المجتمع، واضعاً هذه المقولة في إطار مبهم غالباً، وهذا التطابق في وعي الفريقين هو أحد أسباب وأوجه المأزق الذي وضعت فيه عملية التغيير العربي.

الخروج من هذا المأزق، رهن عملية إعادة تعريف لمفهوم التغيير نفسه، بوصفه عملية تقدم تاريخي، تستهدف فيما تستهدف عملية هدم وإعادة بناء منظومة القيم المؤسسة للمجتمع والسلطة السياسية معاً، مع التأكيد أن إعادة التعريف هذه شرط ضروري، لكنه غير كافٍ.

اللقاء اليساري العربي يدين العدوان الصهيوني على بيروت

أدان اللقاء اليساري العربي العدوان الوحشي الصهيوني على مبنى سكني ملاصق لمستشفى بهمن في الضاحية الجنوبية لبيروت، أسفر عن سقوط عدد من الشهداء وعشرات الجرحى من المدنيين الأبرياء.

وأشار البيان إلى ان: «هذه الجريمة تأتي في سياق سلسلة الجرائم الصهيونية اليومية وحرب الإبادة الجماعية التي يرتكبها هذا الكيان الفاشي الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني في غزة المدعوم من الإمبريالية الاميركية».

ودعا البيان إلى: «تحصين الساحة الوطنية اللبنانية والفلسطينية والعربية لتعزيز المواجهة ضد العدو الصهيوني عبر مسيرة الصمود والمقاومة المشرفة دعماً وانتصارا للقضية الفلسطينية والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في التحرير والعودة واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية وعاصمتها القدس».

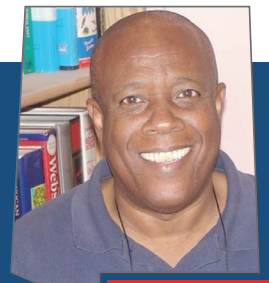

مستقبل المعارضة الهندية

بولاية ناريندرا مودي Narendra Modi الرئاسية الثالثة، تظل الديمقراطية في الهند مُعرضة للخطر. تصفُ المُعارضة، التي حققت مكاسب مع الفقراء والمحرومين والمهمشين من الناخبين، حاجته للحكم في إئتلاف بِأنهُ إنتصار. ولكن هل سيؤدي الصراع الداخلي والأخطاء السياسية إلى صرف انتباه اليسار عن مواجهة تحالف الأحزاب القومية الهندوسية؟

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
بقلم: Udeepta Chakravarty

لقد إنتهت الإنتخابات الهندية، وأدى الرئيس ناريندرا مودي اليمين لولاية ثالثة في الحكم. ومع ذلك، أعلن تحالف المَعارضة (INDIA) "الهزيمة الأخلاقية والسياسية للرئيس مودي في هذه الإنتخابات. لماذا؟ خلال الحملة الإنتخابية، أعلن حزب الرئَيس مودي، حزب بهاراتيا جاناتا BJP، وأئتلافه الحاكم، التحالف الوطني الديمقراطي (NDA)، بكل فخر، عن فوزهما هذه المرة بأكثر من 400 مقعد. دخلت وسائل الإعلام المؤيدة للرئَيس مودي في حالة جنون من ذلك الشُعار وبدأت على الفور في عرض "400 مقعد".

لقد كان الخطاب الشعبي يدور بشكل هاجس حول هذا السؤال بالتحديد: هل سيفوز التجمع الوطني الديمقراطي بـ 400 مقعد؟ ويبدو أن الجميع يتجاهل الحقيقة الأساسية المُتمثلة في أن هناك حاجة إلى 270 مقعداً فقط لتشكيل الحكومة، لذا، عندما فاز حزب بهاراتيا جاناتا BJP بـ240 مقعداً، وفاز حزب التجمع الوطني الديمقراطي بـ 293 مقعداً، كان الأمرُ مُفاجئاً. وهذا صحيح: فللمرة الأولى مُنذُ عشر سنوات، سيتعيّن على الرئيس مودي Modi أن يحكم ليس بالأغلبية المُطلقة بل من خلال أئتلاف.

ورغم ذلك، إذا قرأ المرء فقط التغطية الإعلامية الليبرالية لهذه النتائج، فإنهُ يبدو في بعض الأحيان وكأن المُعارضة، وليس الرئيس مودي، هي التي فازت. وقد بَشّرَ العديد من النُقاد بإنتصار الديمقراطية، وهزيمة نظام الرئيس مودي السُلطوي. وقد زعم المُعلق الليبرالي المؤثر براتاب بانو ميهتا Pratap Bhanu Mehta، 'أن جو اليأس، والظل الخانق للأستبداد، ورياح الطائفية المُقززة، قد أختفى، على الأقل في الوقت الراهن.' ولكن إليكم الحقائقَ البسيطة حول الإنتخابات: فاز حزب بهاراتيا جاناتا BJP بـ 240 مقعداً، وفاز تحالف المعارضة بـ 232 مقعداً. وأحتفظ حزب بهاراتيا جاناتا BJP بشكل أساسي بنسبة 36٪ من إجمالي حصة الأصوات الأنتخابية في انتخابات عام 2019، بينما حصل تحالف المعارضة على نسبة 21.19٪. من المؤكد أن هذه النتيجة تُمثّل إنتكاسة للرئيس مودي، وحزب بهاراتيا جاناتا BJP، واليمين القومي الهندوسي على نطاق أوسع؛ ومن المؤكد أنها فترة راحة لقوى المعارضة. ولكن سيكون من الحماقة الأحتفال بهذهِ اللحظة بإعتبارها إنتصاراً.

تحليل رصين لليسار

في هذه اللحظة، أطرح ثلاث مُلاحظات حول المسار الصعب الذي تسلكهُ الديمقراطية الهندية.

أولاً، أخبار ساره: الفقراء المسلمون والمنبوذين والطبقات الضعيفة المحتلفة الأُخرى – القطاعات المُهمشة والمضطهدة اجتماعياً من سكان الهند – صوتو ضد نظام الرئيس مودي Modi. وكان تحالف المعارضة، الذي ركز حملته الانتخابية على قضايا الرعاية الإجتماعية والوظائف والدستور، قادراً بشكل فعال على تعبئة هذهِ الأقسام ضد النظام السلطوي للرئيس ناريندرا مودي. وكانَ هذا بمثابة تصحيح للمسار الذي كان اليسار الليبرالي في أمس الحاجة إليه: تجديد الخطاب السياسي الإشتراكي الديمقراطي.

ثانياً، هناك حقيقة أكثر واقعية: وهي أن النسبة المئوية للأصوات المؤيدة للرئيس مودي لم تنخفض. هناك استدلالين يمكن استخلاصهما من هذا، أحدهما مُتفائل والآخر مُتشائم. الأستدلال المُتفائل هو أن تحالف المعارضة طوَرَ إتفاقاً فعالاً بشكل ملحوظ لتقاسم المقاعد بين الأحزاب الأعضاء لتحويل حصة الأصوات إلى فوز بالمقاعد. وهذا ليس بالأمر الهيّن، نظراً لأن التحالف متنوع ايديولوجياً ومليء بالشخصيات السياسية البارزة، مع الزُمرْ والطوائف المصاحبة. والأستدلال المُتشائم هو ما جادلت أنا بشأنهِ قبل الإنتخابات: لقد حققت القومية الهندوسية الهيمنة. وهناك كتلة تصويت هندوسية موحدة تستطيع القوى القومية الهندوسية الأعتماد عليها لتحقيق الإنتصارات على الرغم من عزل قطاعات واسعة من الفقراء والمُهمشين في الهند. وهذا يعني أن المُنافسة الإنتخابية في الهند تحدث الآن بشكل جوهري بين 65٪ في المائة فقط من الناخبين، خارج كتلة التصويت الهندوسية – وأغلبهم من الفقراء؛ والناخبين في تلك الولايات الطرفية حيثُ تُهيّمن الهويات دون الوطنية والإقليمية. ويتمثل التحدي الذي تواجهه المعارضة في المُضي قُدماً في خوض معركة دفاعية لإبقاء حزب بهاراتيا جاناتا BJP محدوداً بحصته من الأصوات البالغة 35٪ بالمائة وأقل من الأغلبية المُطلقة من حيث عدد المقاعد.

ملاحظتي الثالثة، هي أن هناك انقسامات تظهر داخل النظام الحاكم. وهُناك جانبان لهذا. أولاً، تعمل مركزية الحزب المُفرطة في عهد الرئيس مودي Modi على خلق انشقاقات في داخل الحزب ومن خلال تنفير كوادر الحزب والمنظمات التطوعية القومية الهندوسية التي تقدم عادةً دعم التعبئة لحزب بهاراتيا جاناتا BJP. ثانياً، من المؤكد أن شريكي حزب بهاراتيا جاناتا BJP وهما حزب تيلوغو ديسام Telugu Desam من ولاية أندرا براديش، وحزب جنتا دال يونايتد Janta Dal United من ولاية بيهار، من المؤكد أنهما سوف يحدان من الحيز المُتاح أمام مُناورة الرئيس مودي. وهذا من شأنهِ أن يُنشأ مُعضلة كلاسيكية لحزب بهاراتيا جاناتا BJP – هل يعمل على تعزيز السياسات القومية الهندوسية بقوة أم أنهُ يتوصل إلى تسوية مع شُركاء لديهم مصالح إقليمية مُختلفة؟ فالأول سَيُعرّض إئتلاف الرئيس مودي للخطر، أما الثاني فسوف يُثير إستياء قاعدتهُ الهندوسية. وسوف يُشكَل هذا القيد الأئتلافي على الرئيس مودي Modi التحدي الأكبر الذي يواجهه في فترة ولاياته الثالثة.

لن تكون الخطوات التالية التي يتعين على المُعارضة اليسارية / الليبرالية في الهند أن تكون بسيطة. الشرط الأول، وهو الحد الأدنى، هو أن يظل التحالف الهندي موحداً، بدلاً من تفكك الخلافات التافهة. وستكون المهمة التالية هي مُمارسة ضغوط لا هوادة فيها على جميع المُمارسات الأستبدادية والسياسات القومية الهندوسية للحكومة. وذلك يشمل دعم احتجاجات المجتمع المدني ضد النظام الحاكم والإعلان بإستمرار عن أخفاقات الحكومة. وفي الوقت نفسه، يجب على المعارضة أن تستمر في تعبئة الطبقة الفقيرة في الهند والدفاع عن القضايا والمخاوف الإقليمية ودون الوطنية – وهذهِ هي المعركة الدفاعية لـ65٪ من الناخبين. الهدف هو منع القوميين الهندوس من جذب مجموعات الهندوس والمنبوذين والطبقات المُتخلفة الأُخرى الفيرة، إلى كُتلة التصويت الهندوسية المُنظمة ضد المُسلمين. وكان من بين المظاهر المُشجعة التي قدمتها المعارضة للهدف المتوسط المدى التمثيل العالي للطبقات الإجتماعية المُتخلفة الفقيرة، والمنبوذين والمسلمين في قائمة المرشحين للإنتخابات؛ كان مُرشحو حزب بهاراتيا جاناتا BJP في الغالب من الطبقة العُليا من الهندوس وتتلخص المهمة الأطول أمداً بالنسبة للمعارضة الهندية في تنمية كتلة تصويتية أكثر أهمية حول قضايا عدم المُساواة والحريات التي يكفلها الدستور. ويَشكّل تسييس التفاوتات الطبقية، والطبقية والأقليمية / دون الوطنية المكونات الرئيسة للمهمة طويلة الأمد: فلابُدَ أن يؤدي ذلك إلى ترسيخ وتعميق الخِطاب الديمقراطي الإجتماعي الذي أبتكره خلال الإنتخابات – وجعل الإلتزامات القيمة بالمساواة والحرية تبدو وكأنها منطق سليم. وعندما يقوم تحالف المعارضة بتشكيل حكومات في إنتخابات الولايات، يجب عليه أن يقوم بحملات انتخابية ثم يحكم وفقاً لهذهِ المبادئ.

وفي العموم يجب أن تكون هذهِ الأهداف قابلة للتحقق. ومن المؤسف أن تحالف المُعارضة الحالي مليء بالسياسيين الإنتهازيين وقصيري النظر والفاسدين. إن حقيقة أن اليسار الهندي كان حَريصاً للغاية على الإحتفال بإنتكاسة الرئيس ناريندرا مودي، بإعتبارها إنتصاراً كبيراً تُعتبر علامة ضعف كما أراها. إن التقدم الحقيقي سوف يتمثل في التحليل الرصين الذي يُجربهُ قادة أكثر بُعد نظر للتحديات المُقبلة.

وحتى ذلك الحين، فإن الديمقراطية في الهند سوف تظل على أجهزة دعم الحياة.

تضارب مواقف الاتحاد الأوروبي من الوقود الأحفوري

يوم الثلاثاء ١٤ شباط/فبراير ٢٠٢٣، أقر البرلمان الأوروبي قانونا يحظر فعليا بيع السيارات الجديدة التي تعمل بالبنزين والديزل في الاتحاد الأوروبي اعتبارا من عام ٢٠٣٥، «بهدف تسريع التحول إلى السيارات الكهربائية في إطار سياسة مكافحة التغير المناخي". لذلك سوف يتعين على شركات صناعة السيارات، بحلول عام ٢٠٣٥، تحقيق خفض بنسبة ١٠٠٪ في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من السيارات الجديدة المباعة، ما يجعل من المستحيل بيع سيارات جديدة تعمل بالوقود الأحفوري في بلدان الاتحاد الـ ٢٧ بعد هذا التاريخ.

د. محمد الصياد

بالمقابل، رفضت المفوضية الأوروبية في فبراير الماضي طلب 4 مجموعات بيئية لسحب قرارها الذي اتخذته في وقت سابق، بتصنيف الغاز الأحفوري ضمن مصادر الطاقة المستحقة للتمويل المستدام في الاتحاد الأوروبي ومنح محطات توليد الطاقة التي تعمل بالغاز علامة "مستدامة"، إذ اعتبرت المفوضية محطات توليد الطاقة بالغاز، تقنية "انتقالية"، على أن تحقق حدا صارما لانبعاثات ثاني أكسيد الكربون وأن تحل محل محطات الطاقة الحالية التي تعمل بالفحم؛ ما دفع المجموعات البيئية لرفع دعوى قضائية ضد المفوضية في محكمة العدل التابعة للاتحاد الأوروبي في لوكسمبورغ، على أساس أن التشريع يتعارض مع قانون المناخ الأوروبي، كما يهدر التزامات الاتحاد الأوروبي تجاه اتفاق باريس للمناخ.

وكما هي سردية مثل هذه المنظمات غير الحكومية، فـ"الغاز لا يعتبر مصدرا مستداما للطاقة لأنه مصدر عالي الكربون عند الاحتراق، كما أن استخراجه ونقله يؤديان أيضا إلى إطلاق غاز الميثان، وهو أحد غازات الاحتباس الحراري القوية." ولأن مثل هذه الآراء لا تقيم وزنا لدواعي ومتطلبات التنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي، فقد اضطُر أصحاب الدعوى لتضمين صحيفة دعواهم، مسوغات اقتصادية تلقى هوى لدى بيروقراطيي بروكسل هذه الأيام، وتحديداً التنبيه والتحذير من مغبة أن "يؤدي استمرار اعتماد الغاز كمصدر للطاقة في الاتحاد الأوروبي، الى تفاقم اعتماد بلدانه على الوقود الأحفوري المستورد، ما يعرضها لمزيد من الآثار السلبية لتقلب الأسعار، وأزمات الامداد، واستمرار الاعتماد على الدول المنتجة للغاز في المستقبل. الأمر لا يقتصر على الغاز، فقد رفعت منظمات السلام الأخضر من 8 دول أوروبية، دعوى أخرى ضد المفوضية بسبب ادراجها الطاقة النووية ضمن مصادر الطاقة المستدامة. ومع أن الطاقة النووية، على عكس الغاز، هي تقنية صفرية الكربون، الا أن "غرينبيس" الأوروبية تعارضها بدواعي مشاكل التخلص من النفايات النووية، والسلامة والتكلفة.

أيضا، في اجتماع وزراء البيئة لمجموعة السبع الذي عقد في مدينة سابورو اليابانية منتصف شهر أبريل 2023، اعترض الاتحاد الأوروبي (الى جانب أمريكا واليابان) على تحديد عام 2030 كآخر موعد لاستكمال التخلص التدريجي من محطات توليد الطاقة العاملة بالفحم. فاليابان تبني حاليا 4 محطات لتوليد الطاقة بالفحم (3 منها قيد التشييد والرابعة في مرحلة ما قبل التشييد)، وبولندا لن تتخلص من محطات طاقة الفحم لديها قبل 2049. فضلا عن دول أوروبية شرقية أخرى لا تستطيع مجاراة طموحات وأحلام بيروقراطية بروكسل المسكونة بلوثة المناخ.

كما لو أن الاتحاد الأوروبي كان يبحث عن ضالته فوجدها في المثل القائل "أُسقط في يده"، الذي صار، والحال هذه، ينطبق عليه تمام الانطباق، وهو يعضّ أصابع الندم على تصنيع وتنشئة طابور الـ "NGOs". فقد أضحت هذه المنظمات التي تحظى برعايته باعتبارها إحدى أدوات ممارسته السياسة الخارجية، تُزايد على "بروتوكولات العمل المناخي" لبروكسل. هي التي أوقعته في مصيدة التناقض الذي تؤشر اليه الأمثلة السابقة. فهو يريد – وفي ذات الوقت لا يريد – مكافحة انبعاثات غازات الكربون.

إنما، بعيداً عن مزايدات ومناكفات الـ "NGOs" التي يمكن للمفوضية الأوروبية في بروكسل، في أية لحظة، أن تتحول عنها وتقمعها وتبعدها عن طريقها، فقد أوقع قادة الاتحاد الأوروبـي بلدانهم في ورطة حقيقية تتعلق بمستقبل امدادات الطاقة لصناعاتها ومنشآتها ومرافقها وشركاتها ومؤسساتها ومواطنيها. فهم من جهة قطعوا امدادات النفط والغاز الروسيين اللذين كانا يصلان الى بلدانهم بأسعار تقل بأكثر من 30٪ من الأسعار المنافسة. وقبل ذلك، اندفعوا لرفع راية الحرب الشعواء ضد الوقود الأحفوري، باسم مكافحة ظاهرة التغيرات المناخية التي جندوا لها طوابير من "العلماء والاختصاصيين" لفرض أجندتها على الأسرة الدولية جمعاء وعلى أوساط العمل المناخي بصفة خاصة. فلا غرو أن يقعوا ضحية تناقض وحرج قراراتهم ومواقفهم من مصادر الطاقة الأحفورية.

ملمح آخر يضج تضارباً في السياسات المناخية الأوروبية، هو ذاك الذي شاهده العالم على شاشات التلفزة وشبكات التواصل الاجتماعي. الأمر يتعلق باحتجاجات المزارعين الأوروبيين العارمة التي اجتاحت عواصم ومدن أوروبا مطلع العام الجاري (2024) ضد سياسات الحكومات الأوروبية المتعللة بمكافحة تغير المناخ؛ أو كما يقول خبراؤها إن أوروبا أصبحت القارة الأسرع ارتفاعا في درجات الحرارة على هذا الكوكب. حتى شهر فبراير 2024، نظم المزارعون في كل أنحاء أوروبا أكثر من 4000 احتجاجا، بزيادة قدرها 300٪ عن العام الماضي، وفقًا لشركة بيانات المخاطر العالمية فيريسك مابلكروفت، فقد خرج المزارعون في جميع أنحاء الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك بلجيكا وفرنسا وألمانيا واليونان والمجر وإيطاليا ولاتفيا وليتوانيا وهولندا وبولندا وإسبانيا ورومانيا، وكذلك في بريطانيا والهند – غضبا على إلغاء الدعم وفتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الزراعية الرخيصة التي لا تلبي نفس المستوى من الاشتراطات المفروضة على المنتجات الزراعية التي ينتجونها. كما يطالبون بمواصلة دعم الوقود وإعادة النظر في القيود المفروضة على الأسمدة والمبيدات الحشرية من روسيا. الحكومة الألمانية، على سبيل المثال، أعلنت في ديسمبر/كانون الأول 2023، عن خطط لخفض الدعم والإنفاق في محاولة لسد فجوة قدرها 17 مليار يورو في ميزانية البلاد لعام 2024، تسبب فيها انخراط البلاد في الحرب بالوكالة التي تشنها واشنطن ضد روسيا على الأراضي الأوكرانية. بينما يطالب المزارعون اليونانيون باتخاذ تدابير لمنع تضرر الأراضي الزراعية بسبب الفيضانات وغيرها من الأحوال الجوية القاسية. أما في فرنسا فقد جنحت الاحتجاجات نحو أساليب الضغط العنيفة لاجبار الحكومة الفرنسية على التراجع خطط خفض دعم الوقود الزراعي، وهو ما حدث فعلا، حيث تراجعت عنها الحكومة في نهاية يناير 2024، لكن ليس قبل أن يقوم المزارعون في ديجون برش السماد على مبنى حكومي محلي.

هذه الإجراءات الحكومية الأوروبية التي تستهدف المزارعين بحجة تحقيق هدف الاتحاد الأوروبي القاضي بخفض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري بأكثر من النصف بحلول عام 2030، تتضارب مع خطط الاتحاد الأوروبي لفرض ضرائب على واردات السيارات الكهربائية من الصين، والتي يفترض تسهم في خفض الانبعاثات قياسا للسيارات التي تعمل بالوقود السائل. فلسوف يفرض الاتحاد الأوروبي ضريبة مؤقتة تتراوح ما بين 17.4٪ إلى 38.1٪ على المركبات الكهربائية القادمة من الصين لمدة أربعة أشهر اعتبارا من 4 يوليو 2024. كما ستنطبق هذه التعريفات على المركبات ذات العلامات التجارية الأجنبية، بما في ذلك تسلا، وذلك بحجة حماية شركات صناعة السيارات الأوروبية.

تنقّـــل العمـــالـــــة والأربـــــاح

يمكن الافتراض أن العمال «الفقراء» لا يشهدون نموا كبيرا في الأجور بسبب حقيقة أنهم يغيرون أصحاب العمل بشكل أقل تكرارا من العمال «الأغنياء». ومع ذلك، تظهر بيانات الأبحاث أنه في أي عمر، فإن العمال الأكثر ثراء، على العكس من ذلك، يغيرون أصحاب العمل بشكل أقل.

ومع ذلك، فإن المعدلات المرتفعة لتنقل العمال «الفقراء» لا تؤدي إلى صعودهم السلم الوظيفي وزيادة دخلهم: بل على العكس من ذلك، مع التقدم في السن، ينزل العمال «الفقراء» في الواقع على هذا السلم. فالعامل الذي ينتمي إلى أسفل توزيع الدخل ويبلغ من العمر 55 عاماً يعمل في شركة تدفع في المتوسط 120% أقل بالقيمة الحقيقية من صاحب العمل الأول.

حسين الشويخ

وفي المقابل، فإن العمال «الأغنياء»، على الرغم من انتقالهم بشكل أقل من شركة إلى أخرى، يشهدون نمواً مطرداً في الأجور الحقيقية طوال حياتهم المهنية، والتي تزيد عند سن 55 عاماً على ضعفي ونصف ما كانوا يتلقونه في وظيفتهم الأولى.

الشركات «الجيدة» ورأس المال البشري

فكيف يؤدي انخفاض القدرة على الحركة إلى نمو أكبر في أجور العمال «الأغنياء»، في حين يغير العمال «الفقراء» وظائفهم طوال حياتهم ولكن تأثيرهم ضئيل على أجورهم؟ يقدم مؤلفو الدراسة تفسيرا يستند إلى ملاحظة تجريبية رئيسية: العمال الفقراء لا يذهبون دائما إلى شركات أفضل. ونتيجة لذلك، تتاح لهم فرص أقل للتعلم وتوسيع رأسمالهم البشري – المعرفة والمهارات والقدرات.

توفر الشركة «الجيدة» لموظفيها فرصًا تدريبية يتراكم من خلالها المعرفة والمهارات. وبالتالي، فإن الشركة التي توفر بيئة تعليمية عالية الجودة يمكنها زيادة راتب الموظف على المدى الطويل، حيث أن لديه الفرصة لتحسين مهاراته وتجميع رأس مال بشري كافٍ لتطبيقه في المستقبل.

والعمال «الفقراء» أكثر عرضة من العمال «الأغنياء» للتعرض لفترات من البطالة في جميع الأعمار التي تتسم بقدر أكبر من الحركة. خلال فترات البطالة، يتراجع رأس المال البشري، ولو ببطء؛ ومع ذلك، خلال فترات الانشغال، ليس لدى هؤلاء العمال الوقت لاستعادته. وحتى عندما يعملون في شركة «جيدة»، فقد لا يكون لديهم الوقت الكافي للاستفادة منها في شكل زيادة رأس المال البشري.

تبدأ الفجوة في ديناميكيات الأرباح في الظهور بالفعل في بداية الحياة المهنية: أولئك الذين سيكونون في المستقبل من بين العمال «الأغنياء» يميلون إلى تغيير وظائفهم بشكل أقل في شبابهم، وتنمو أرباحهم بالفعل بشكل أسرع خلال هذه الفترة. في حين أن «الفقراء» يغيرون وظائفهم في كثير من الأحيان، بدءا من سنواتهم الأولى في سوق العمل، وفي الوقت نفسه، تنمو دخولهم بشكل أبطأ منذ سنواتهم الأولى. وخلص الباحثون إلى أن «العمال الأكثر فقرا يعانون بالتالي من انخفاضات كبيرة في متوسط جودة أصحاب العمل والركود في متوسط الأجور الحقيقية على مدى دورة الحياة».

العمال الذين هم في قمة توزيع الدخل في نهاية حياتهم المهنية لديهم المسار المعاكس في سوق العمل. توصف حياتهم المهنية جيدًا بأنها تسلق سلم الشركة. نادرا ما يغيرون أصحاب العمل، ولكن إذا فعلوا ذلك، فإنهم عادة ما يتحولون إلى أجور أعلى. وهو يرتفع بشكل حاد مع تقدم العمر، ويتغذى على نمو أسرع في الأرباح في السنوات الأولى عندما يظل هؤلاء العمال مع نفس صاحب العمل: وفي سنوات شبابهم، من المرجح أن يكون الناس أكثر تقبلاً للتعلم وتحسين رأس مالهم البشري. وفي وقت لاحق، ينتقل هؤلاء العمال إلى شركات أكثر إنتاجية ويحصلون على عوائد أعلى على رأس مالهم البشري، الذي يواصلون «تجديده».

وبالتالي، فإن ارتفاع نمو الأجور ليس فقط نتيجة للتغيير «الميكانيكي» لصاحب العمل، كما يخلص المؤلفون: ما يهم هو «نوعية» صاحب العمل من حيث الاستثمار في رأس المال البشري للعمال.

استخدم المؤلفون النموذج لتقدير كيفية ظهور الديناميكيات المهنية البديلة للعمال «الفقراء» الذين أتيحت لهم الفرصة للعمل في شركات «جيدة» في سن 25 عامًا. وتم تقسيم الشركات «الجيدة» إلى مجموعتين: تلك التي توفر بيئة تعليمية أعلى من المتوسط، وغيرها من الشركات التي تتمتع بإنتاجية أعلى من المتوسط. لقد تبين أن العمال يحصلون على المزيد من الفوائد الطويلة الأجل من العمل كشباب في شركة تتمتع ببيئة تعليمية داعمة، مما يزيد من دخولهم على مدى حياتهم بنسبة 4.6٪؛ عند العمل في شركة ذات مستوى عالٍ من الإنتاجية بنسبة 1.8٪.

في النموذج، أظهر الباحثون أيضًا التأثير الإيجابي للسياسة التي توفر ضمانًا وظيفيًا لمدة عامين للعامل الشاب الذي يتراوح عمره بين 25 و27 عامًا في شركة «جيدة» – على سبيل المثال، تدريب إلزامي أو برنامج تدريب: ببساطة منع تسريح العمال لمدة عامين يزيد من دخل العامل طوال حياته بنسبة 5.2٪. إذا حصل الموظف بعد ذلك على فرصة البقاء في شركة «جيدة»، فإن الزيادة في الأرباح تزيد إلى 11٪. وخلص الباحثون إلى أن الحد من مخاطر البطالة في سن مبكرة هو عامل مهم في جني فوائد التدريب القائم على أصحاب العمل.

ويرى الباحثون أن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان من الممكن فعل أي شيء لتحسين وضع العمال «الفقراء» حتى لا تنخفض دخولهم مع تقدمهم في السن. وبناء على نتائج الدراسة، فإن الاختلافات في قدرة العمال على تجميع رأس المال البشري وقدرة الشركات على دعم تدريب العمال أمر بالغ الأهمية. وتحدد الأهمية النسبية لهاتين القناتين السياسات القادرة على مساعدة العاملين في أسفل سلم توزيع الدخل على تسلق السلم الوظيفي. وبالتالي، إذا كانت الاختلافات في بيئة التدريب بين الشركات مهمة، فإن السياسات التي تساعد العمال الأفقر في العثور على وظائف في الشركات التي لديها ممارسات تدريبية جيدة قد تكون فعالة. ولكن إذا كانت الاختلافات ترجع بشكل رئيسي إلى قدرات العمال، فإن مثل هذه السياسات لن تكون فعالة للغاية، ومن المهم بدلاً من ذلك تحسين قدرة العمال على التعلم ، والتي من المرجح أن تتطور حتى قبل دخولهم سوق العمل، من خلال نظام التعليم وبيئة الحياة الأسرية، كما يستنتج المؤلفون.

الحقوقي المثير للجدل

جلال إبراهيم

يعتبر الحقوقي البحريني نبيل رجب أحد الحقوقيين البارزين في عمله طوال سنوات عديدة خاض فيها الكثير من التجارب التي ساهمت في صقله وإكسابه الخبرة الواسعة في مجال حقوق الإنسان. وبشهادة العديد من المنظمات الدولية الحقوقية، فإن رجب من الشخصيات التي قدمت الكثير في الدفاع عن حقوق الإنسان والنضال من أجل التغيير ورفع الظلم عن الفئات المنتهكة حقوقها الإنسانية بغض النظر عن عرقها ودينها وثقافتها.

نشأة نبيل رجب في مدينة المنامة المعروفة بتنوعها الإثني والثقافي بوجود جاليات من مختلف الأعراق، ساهم في تبنيه ثقافة قائمة على التعايش والتسامح مع الآخر المختلف شكلًا ومضمونًا. هذه الثقافة الرفيعة ستزداد توسعًا ورسوخًا مع انتقال رجب إلى الهند من أجل إكمال دراسته الجامعية.

من أبجديات العمل الحقوقي التي يجب أن يلتزم بها كل من أراد الانخراط في هذا المجال، أو من قطع شوطًا طويلًا، الإيمان بتساوي البشر في حصولهم على كافة الحقوق الاجتماعية والمدنية والسياسية، بعيدًا عن الاعتبارات العرقية والدينية أو السياسية والثقافية، لذلك فشل الكثير من الرجال والنساء الطارئين على العمل الحقوقي في المجتمعات العربية من أداء عملهم بحرفية ومهنية عالية، لعدم إيمانهم والتزامهم بهذه الأسس البديهية في العمل الحقوقي.

يُوصف نبيل رجب بالشخصية الحقوقية المثيرة للجدل، فعبر تاريخه الطويل في العمل الحقوقي دافع عن فئات مختلفة، فقد دافع عن حقوق أفراد ينتمون إلى تنظيمات إرهابية وسجناء معتقل غوانتانامو، وضحايا أحداث 2011 في البحرين، وأخيرًا دفاعه عن الأفراد التابعين لجمعية التجديد. هذا الجدل المثير حول شخصية رجب هو نتيجة طبيعية للثقافة السائدة القائمة على التشدد للطائفة أو الجماعة أو الحزب السياسي. لذلك من غير المستغرب أن يحصل رجب على الثناء والمديح من قبل الجماعات السلفية، لدفاعه عن حقهم في الحصول على محاكمة عادلة ورفض تعذيبهم في سجون غوانتانامو، وأن يصفوه، هم أنفسهم، بالطائفي والمنحاز إلى المعارضين الشيعة في 2011.

■ من أبجديات العمل الحقوقي الإيمان بتساوي البشر في حصولهم على كافة الحقوق الاجتماعية والمدنية والسياسية

كذلك ليس بالأمر المفاجئ أن يتحول رجب من بطل حقوقي وطني في عيون أغلبية المعارضة الشيعية وجماهيرها إلى شخص حقوقي منحاز لجماعة صغيرة يعمل على نشر أفكارها النقيضة والمسيئة للمذهب الشيعي وأتباعهِ في البحرين.

ليس ذنب نبيل رجب أن يصبح شخصية حقوقية مثيرة للجدل، إذ فرضت عليه ثقافته المتسامحة، وأخلاقه الرفيعة، ومهنيّته العالية، أن يكون متماهيًا ومنسجمًا معها.

الهجوم الأوسع والانتقادات الأشرس هي التي تلقاها من قبل البعض حول جمعية التجديد. وفي تعليقه على ذلك، يقول رجب: «مبادئي الحقوقية وقيمي الإنسانية، لا أستطيع التخلي عنها محاباة لهذا الطرف أو ذاك». «صحة الموقف لا يحددها الفعل ورد الفعل أو حجمهِ، ولا دعم هذا التيار أو خسارة ذاك». وبمعنى آخر أن المسطرة يجب أن تكون واحدة، سواءً كان الضحية سلفياً، أو شيعياً، أو لا دينياً.

من المؤلم لأي ناشط حقوقي أن يبذل الغالي والنفيس، وأن يضحي بالكثير على حساب صحته وأسرته، من أجل الدفاع عن حقوق الفئات التي تتعرض للظلم والانتهاك لأبسط حقوقها، داخل بلده وخارجه، أن يتم التشكيك بسهولة في صدق عمله وحجم تضحايته. فقد تم اعتقاله ودخوله للسجن أول مرة في عام 2012 وبعدها في 2016، وفي يونيو 2020 أطلق سراحه من السجن إثر قانون العقوبات البديلة.

في فترة وجوده داخل السجن صرف رجب جهوده إلى كتابة روايته الأولى بعنوان «رسالة بأثر رجعي» التي يوثق فيها قصصه وتجاربه ومعاناته في مسيرة عمله في مجال حقوق الإنسان. في هذه الرواية لم يقتصر رجب على الشأن المحلي، بل تحدث أيضًا عن تجاربه الواسعة في الهند والنيبال وما تعانيه هذه البلدان من قضايا إنسانية عديدة، مثل: الفقر المدقع، والاتجار بالأشخاص، واضطهاد النساء، واستغلال العمالة المهاجرة.

العمل الحقوقي في الدول العربية له تعقيداته وصعوبته البالغة، سواءً من الجانب الرسمي أو المجتمع المدني والشعبي.

في مقابلة مع نبيل رجب –صفحة مواطن الإلكترونية– سنة 2023 يُجيب على سؤال طُرح عليه، مضمونه «دافعت عن مختلف الأعراق والأديان، وتتعرض من وقت لآخر لنقد وتشهير من مجموعات مختلفة؟ كانت الإجابة على النحو التالي: نعم، هناك محطات في عملي الذي تلقيت فيها بعضًا من الانتقادات، ليس من الحكومات فقط، إنما من بعض الجماعات الشعبية أيضًا، معظمها ناتج عن فهم قاصر أو مُسيس ومغاير للقيم الإنسانية التي نسعى إلى تعزيزها، مبادئ حقوق الإنسان للجميع من دون استثناء، ديني أو عرقي أو اجتماعي أو لأي اعتبار آخر، إلا أنها لا زالت ثقافة غير متجذرة عند بعض مجتمعاتنا المحلية».

لهذه الأسباب وغيرها أصبح الحقوقي نبيل رجب مثيرًا للجدل.

متى ينتبه المعنيّون لما نكابده من أوجاع أرهقتنا وجعلت من اقتصاد الوطن في مهب الرياح؟

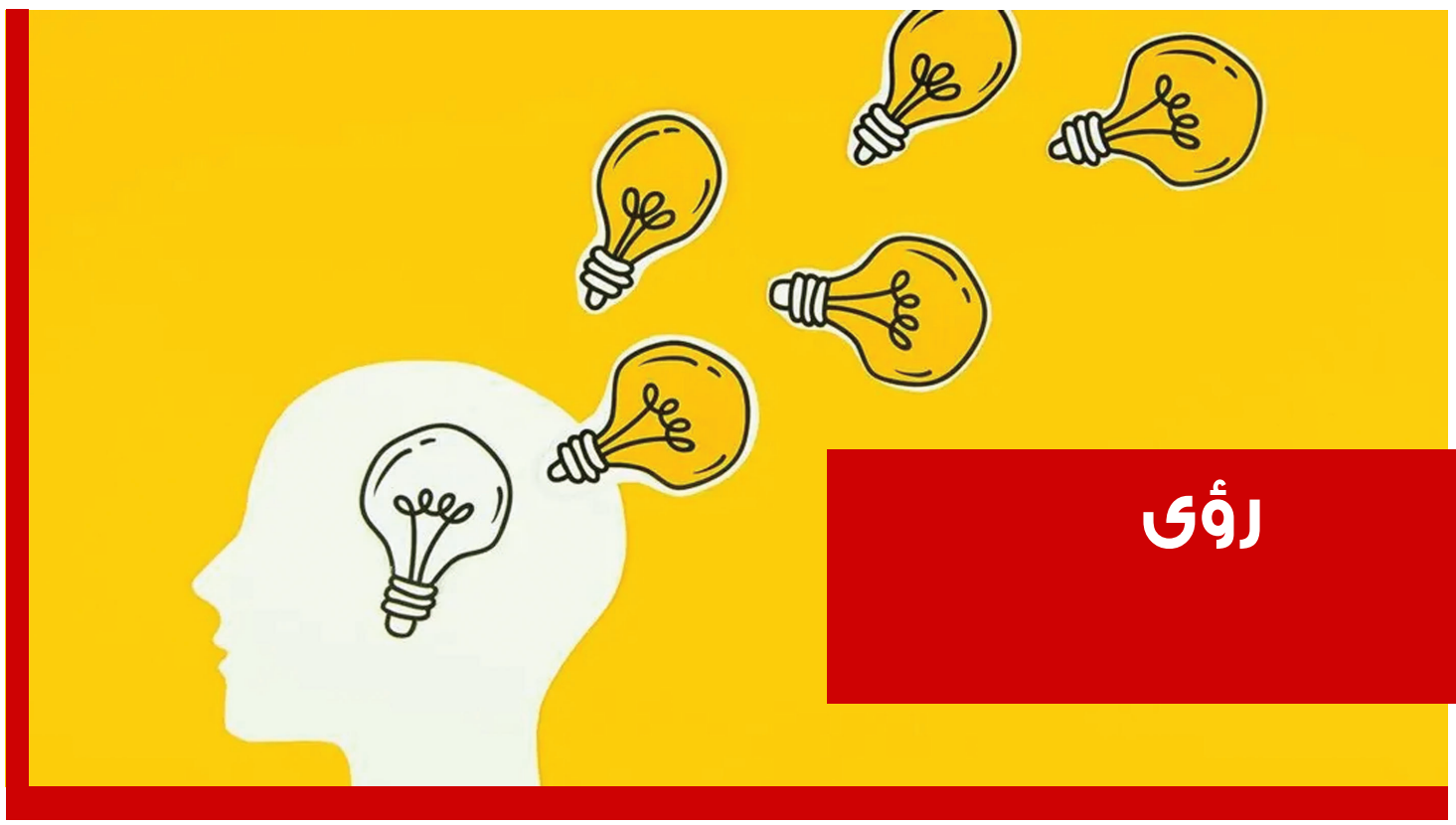

رؤى

قاسم الحلال

علينا أن لا نبقي باب الحوار مغلقاً لكي نحقق ما نصبوا إليه من تطوّر ونماء لخير هذا الوطن

حينما نتبادل الرؤى قد أكون صائباً والآخر خائباً والعكس صحيح، وعندما أستبسل في الدفاع عن رؤاي بالطبع لا يعني أنني على حق بالضرورة، ولكن استبسالي دفاعاً عن ما أعتقد صحته، فقد تتبلور الأمور وتصبح صحة رؤى الطرف الآخر، لأننا نتحاور لبينة وصحة الرؤى التي تخدم المجتمع بكل أطيافه.

من هنا نقول إن سرعة الحسم الآنية ليست صحيحة، وقد تكون غير مثمرة، وبالتالي لا تهدف إلى تبني روية الطرفين المختلفين، لأن صحة الرؤى تكمن في قياس الجوانب الأمنية المتدهورة، وذلك لضعف مركزية الجهة التنفيذية والفلتان الأمني غير المحسوب، الذى نحتاج وعياً ينير دربنا نحو أقاصي المعرفة.

فالعلم والثقافة يزخران بنور يفتح دروباً للمفاهيم والتوسع في المدارك، فلولا سعة العلوم والمفاهيم لما ولدت الفطنة والذكاء والعقلنة، لكن حينما تصبح مكافحة الظلم خطوة صعبة المراس، رغم إن الكفاح ضرورة لحل مشاكل راهنة تشكل مفتاحاً لحل الكثير من هموم المجتمع المغلوب على أمره، فعلينا أن لا ندع باب الحوار مغلقاً لكي نتحاور لنصل للمعرفة ونتجاوز السطحية والمعوقات والتقوقع والتهميش والعبوس لكي ننجز ونحقق آمال وتطلعات ما نصبوا إليه وما ننشده من تطور ونماء لخير هذا الوطن المعطاء وكلنا أمل وإصرار لهذا التوجه.

وكلما تأخرنا عن العطاء مستثمرين عقولنا التي لم تشيخ بعد كلما تأخرنا عن فهم واقعنا الذي نعيشه فنخسر بذلك يوماً من أيام فهم هذا الواقع، حيث إعطاء وجهة نظر عن ما يجري لأحداث وهموم هذا اليوم الذي يمر علينا لأن نشعل شمعة كلما خيّم الظلام، وأن نعدّ العدة حينما تتلبد الغيوم وتنذر بيوم ممطر غارق، علينا أن نتفهم قراءة التاريخ لنعرف حياة الشعوبً لأنه مفتاح للتمعن في شخصيات الناس المنهكة والتعرف عن نكباتهم ومحنهم.

في هذه الصعوبات التي جعلت من صراعنا صراعاً غير مبرر، ولو تأملنا لحقول المعرفة التي تخدم الإنسان وبناءه ومدارك حقائق ودقائق احتياجاته لتحققت الكثير من الآمال التي نتطلع إليها جميعاً.

هناك الكثير من المهام الملقاة على عاتقنا بصفتنا نسعى لمستقبل وطن ينعم فيه المواطن بالكرامة والخير والنماء، نطمح لمكتسبات سبق وأن نلناها بنضالنا وتضحياتنا واليوم نحرم منها بجرة قلم بلا مبرر، والذي أجبرنا على الإصرار على انتزاعها، كما نطالب بالتعويض بعد أن أصبحنا في وضع نرزح فيه تحت خط الفقر المدمر، نغصّ علينا عيشنا، وبهذا صمدنا في نضالنا بصبر وعقلانية وتأنٍ لأننا لا نريد حلولاً متطرفة ومغامرات لا تجدي نفعاً، فليقدر المعنيون سلوكنا وهدوئنا هذا، نرتقي لمسار يتبناه ويتفهم شرعيته الجميع، حين الاستبسال للذود عن الحقوق، لكي لا تدخل الانتهازية في (اللعبة)، حيث المغامرات المتهورة التي تسوقنا للجحيم.

نحرص وكلنا أمل أن ينتبه المعنيون لما نكابده من أوجاع أرهقتنا وجعلت من اقتصاد الوطن في مهب الرياح، حيث أصبح الأجنبي يعيث فساداً على مرأى المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية دون الالتفات للمواطن لإعطائه مجالاً لمعالجة هذا التلوث غير الطبيعي.

لقد تدحرج واخذ منحىً سلبياً نحو الأسوأ حتى ساد التخبط وانحرفت البوصلة عن مسارها، لكن هناك لاتزال بارقة أمل للإصلاح، لأننا لا نرى الأمور بعينين سوداوتين، لنتوقف برهة لنتأمل متى ستنقشع الغيوم لنعبر نحو حياة أفضل من معايشة وضع مؤلم كهذا، فأمامنا كم هائل من الحلول، فكلنا نعرف الخطوات التي تبني وتضع حلولاً ناجعة بوتائر مدروسة.

أديب أَمْ مناضل أَمْ فيلسوف أَمْ كلّها جميعاً...!

صاغ غرامشي مفهوم المثقف العضوي على طريقة المثقف الذي يخرج من طبقتهِ الفقيرة المعدمة والمضطهدة الى مستوى أرفع، فيكرس اهتمامه وكتاباته للدفاع عن تلك الطبقة ولفت الإنظار والإشارة الدائمة إليها من أجل تحسين وضعها الاقتصادي والإجتماعي والسياسي. ربما نجد في الكاتب الكبير فيلسوف الأدباء جوزيه ساراماغو مثالاً قريباً للشخص الذي نظّر له غرامشي. انطلقَ ساراماغو من عائلة فقيرة جداً ليبدأ حياته العملية كموظف ميكانيكي ثم انتقل بعدها إلى الصحافة ثم الثقافة والكتابة ولم تكن تنقلاته سهلة إطلاقاً، جعلَ الكتابةَ عن الفقراء والبسطاء والمضطهدين من أهمّ أولوياته، فكتبَ عن الإنسان والفقرِ والوعي والثورة والفلسفة مستخدماً المجال الذي برع فيه وهو الأدب الروائي حتى تحصّلَ على جائزةِ نوبل للآداب.

حسين آل ربيع

لم يكتفِ ساراماغو بالحديث عن طبقتهِ وفِئَتهِ داخل حدود ثقافتهِ وموطنهِ الجغرافيّة، بل تجاوز تلك الحدود إلى العالم، فأظهرَ اهتماماً كبيراً بفقراء العالم، تحدث عنهم في كل مكان وفي معظم أعماله، انتقد الأنظمة الاستبدادية والهيمنة الإمبريالية والرأسمالية العالمية، والتمييز العنصري وكان «الأفضل في تحيّزه للإنسان» كما تقول زوجته بيلار. وطوال حياته المهنية ككاتب ومثقف ومناضل زاوج النضال السياسي والإجتماعي بالثقافة والأدب، وكان قد انتمى الى الحزب الشيوعي البرتغالي منذ العام 1969 وظلّ عضواً فيه حتى وفاته عام 2010. فهو فنانٌ فرضَ عليه فنُّهُ ونظرته للحياة أن يكونَ إنساناً ومناضلاً.

في رواية «العمى» –على سبيل المثال لا الحصر– ابتكرَ واقعاً موازياً في حكايةٍ فلسفيةٍ عن عمى البشر وانحرافهم الأخلاقي وعن مدى هشاشة المنظومة الأخلاقية الظاهرية التي يتبدّى وجهها الحقيقي في الأزمات والكوارث والحروب، الأمر الذي قد يؤدي تفاقمه في نهاية المطاف الى تدمير الإنسان لذاته بذاته وقد تصل بشاعة هذا الإنهيار الى تدمير كينونة الإنسان وإبادة الآخر. وهو بهذا العمل وأعماله الأخرى يُدين بأساليب متعدِّدة الشركات الرأسمالية التي ستقضي على حقوق الإنسان لتستحوذ عليه وتسعى لاستغلاله استغلالاً بشعاً. ويتحدث في رواية «العمى» أيضاً عن مستقبل الطب والإدارة ومفاهيم مثل الوفاء والإيثار ومعنى التضامن الإنساني في مقابل الإنتهازية، ويرثي للحالةِ التي وصلت إليها البشرية في العصر الحديث، يقول مثلاً: «نحن عميان لكننا نرى» أي أننا نفتقد البصيرة التي تقود إنسانيتنا نحو الأهداف الأسمى والتعاطف مع الإنسان في الظروف الصعبة والإستثنائية.

كان ساراماغو أحد أعضاء وفد برلمان الكتّاب العالمي الذي زار مدينة رام الله 2002 خلال انتفاضة الأقصى مع مجموعة من الكتّاب الغربيين منهم مثلاً: وول سوينكا، بريتن برتنباخ، خوان غويستول، رسل بانكس. أعربَ هؤلاء الكُتّاب عن دعمهم للكفاح العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني، وشجبوا غطرسة الإحتلال الذي يغتال الأرض والإنسان الفلسطينيَّيْن. وعندما رأى ساراماغو القرى الفلسطينية المحاصرة بجدران الفصل العنصري والأسلاك الشائكة وعساكر جيش الإحتلال قارب ما شاهده بمعسكرات الإحتلال النازية، حتى اتهمه بعض الكتّاب في الغرب بمعاداة الساميّة!

كتب ساراماغو عندما عاد من زيارته مقالةً فضح بها زيف إدعاءات الحركة الصهيونية وعنصريتها وسلوكها اللا إنساني. عقد في مقالته التي وسمها بعنوان «من أحجار داوود إلى دبابات جُليات» مقارنة بين السردية الصهيونية التي تصوّر داوود الفتى الضئيل الذي لا يمتلك سوى الحجر مقابل العملاق جالوت الهمجي المدجج بالسلاح والبرونز، يهزمه داوود الأشقر بعقله ومقلاعه. لكن الواقع الذي نعيشه عكس تلك السردية تماماً. يقول ساراماغو:»إن داوود الزمان القديم ذلك يحلّق الآن في طائرات الهيلوكوبتر فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويطلق الصواريخ على الأبرياء العزّل، وداوود العصر المنصرم ذاك يقود أحدث دبابات العالم وأقواها ويسحق ويفجر كل مايعترض طريقه. داوود الملحمي ذاك أعيد تجسيده الآن في صورة مجرم حرب...».

ويتسائل ساراماغو متعجّباً، كيف يمكن لشعبٍ عانى عذابات الإبادة والتهجير أن يقوم بذات الأعمال ضدَّ شعبٍ بريءٍ آخر، يقول:«وإنني أتساءل لو أن اليهود الذين فقدوا حياتهم في مراكز التعذيب النازية تلك، وهؤلاء الذين ظلوا على مَرّ التاريخ والذين انغلقوا على أنفسهم في أحياء «الغيتو» الفقيرة، ترى لو أن هذه الجموع الهائلة من البائسين رأت الأفعال الدامية التي يأتي بها أحفادهم ألن يشعروا بالخزي والعار؟! أوليست المعاناة الشديدة هي دائماً أقوى دافع كي لا نتسبب في معاناة الآخرين؟! انتقلت حجارة داوود الى أيادٍ أخرى، فالفسطينيون هم الذين يلقونها الآن. وأصبح جليات في الجانب الآخر كما أصبح مسلحاً مجهزاً أفضل من أفضل الجنود في تاريخ الحروب أجمع. هذا بالطبع الى جانب مساندة الصديق الأمريكي الوفي. ثم يتحدثون عن جرائم القتل الرهيبة للمدنيين اليهود!».

ساراماغو: كيف يمكن لشعبٍ عانى عذابات الإبادة والتهجير أن يقوم بذات الأعمال ضدَّ شعبٍ بريءٍ آخر

إن شخصيةً مناضلةً مفعمةً بالإنسانيةِ وحب الأدب والفلسفة والحياة لابد أن تكون على النقيض من التوحش والظلم. وقوف ساراماغو إلى جانب القضية الفلسطينية والتحدث عنها ليس بالغريب، إنما يتماشى تماماً وسيرته النضالية الغنية، تقول بيلار:»كان مشغولاً بالإنسان في كل مكان في العالم». سيلاحظ القارئ الفطِن (الحساس في وصف باموق) أن شخصيات ساراماغو ليست اعتباطية بل أن كلَّ ما فيها مقصود وله دلالة معينة، وعوالمه الغرائبية ليست مستغربةً وليست عوالم بسيطة وسطحية، فهو يتميز بخيال خصب وكان مولعاً بالميثولوجيا والتاريخ. الى جانب ذلك فقد ضمّنَ معظم أعماله أفكاراً فلسفية وأدباً رفيعاً، فهي إن صح التعبير أدبٌ إنسانيٌ مُفلسف، أو فلسفة الأدب الإنساني. وفي العام 1998 كان ساراماغو أول روائي برتغالي يتحصل على جائزة نوبل، قال حينها: «لم أبتعد عن طريقي الذي دأبتُ على السير فيه، سواءً ككاتب أو كمواطن. لم تغيّرني جائزة نوبل لا نحو الأفضل ولا نحو الأسوأ...وحمّلَتني الجائزة قدراً من المسؤولية وهي مسألة لا يمكن أن أخونها مهما كلّف الأمر. من المهم أن يحافظ الإنسانُ على جوهرهِ.. على حقيقتهِ، وذلك مانحن في صدد خسارته للأسف؛ حقيقتُنا».

كيف تصنع حاشية المثقف وحاشية الحاكم طاووساً؟

أحمد السعيد

كان أول اعتراض قرأته لحاكم أن تكون له حاشية هو ما نقله هادي العلوي عَن نهج البلاغة في الطرفة رقم تسعة عشر من باب المختارات السياسية، وهي أن عليًا بن أبي طالب ركب يومًا لحاجة فتبعه رجلٌ يمشي خلفه، فقال له ناهيًا: «ارجع. فإن مشي مثلك خلف مثلي فتنة للمتبوع ومذلة للتابع». (المستطرف الجديد 19/1).

عَلقتْ هذه الحادثة في رأسي منذ سنوات بكل ما تحمل من كثافة لغوية. إن «المشي خلف» فيزيائيًا تعني تبعية الجسد للجسد، وأنت في هذه الحال لا وجهة لك إلا ما يتوجه له الآخر. أما من الناحية العقلية محو الظِل، فلا رأي ولا وجود لك نتيجة وقوع العقل تحت ظل عقلٍ آخر. لا ظل فوق الظل كما يقول التوحيدي.

أما «الفتنة» من الناحية الإيجابية: إثارةٌ جمالية يقوم بها أحد الجنسين لاجتذاب الآخر، كإثارة ذَكَرِ الطاووس لأنثاه. ولكن تحمل الفتنة دلالة سلبية أيضًا، فهيَ البلبلة والاختلاف الذي يُثار بين اثنين أو جماعتين، ما يقود للخصام والقتال. وفي اللهجة الدارجة يقال: «فلان طاووسي». لا كدلالة إيجابية أو جمالية بل للدلالة على تضخم الذات والنرجسية النفسية، وأكثر ما يجعل المثقفين والحكام طاووسيين حاشيةٌ تتبعُهم بلا ظِل، بلا اختلاف، وبلا رأي فوق الرأي أو حتى معه.

إن ما يعنيه علي بن أبي طالب في قوله للرجل الذي كان يقصد حراسته «مشي مثلك خلف مثلي» هو التبعية الفيزيائية ظاهريًا، إلا أن المقولة تحمل معها جميع الدلالات المذكورة، فهو لا يريد أن تتسرب التبعية الفزيائية للعقل فيتخذ حاشية لا ظِل لها، كما أن الفتنة هنا قبل أن تكون فتنة للمجتمع رآها وقبل كل شيء فتنة للنفس، ومدخل لتضليلها عن حجمها فتتضخّم لينبت فيها ريش الطاووس شيئًا فشيئًا.

«حاشية الحاكِم وذكاء التوحيدي»

يدرك أبو حيانَ التوحيدي (310 - 414 هـ) خطورة أن لا يكون ظل للحاشية التي يتخذها رجل السياسة ويدرك أيضًا خطورة أن يكون لك ظل تحت أمير أو وزير طاووسي لا يقبل ظلًا مع ظلّه، فكيف تعامل التوحيدي مع الوزير أبي عبدالله العارض؟

يكتب التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة مجموع منادماته الفكرية طوال سبع وثلاثين ليلة مع الوزير أبي عبدالله العارض، وكان فيَ الليلة الرابعة والثلاثين أن شكا الوزير للتوحيدي تدخل العامّة في شؤون الخاصة، وهو يقصد هنا تدخّل السوّقة والذين لا شأن لهم في الحكم والثقافة في الأمور السلطانية، فيتوعد بقطع أيديهم وألسنتهم تأديبًا: "إنّي لأهمّ في الوقت بعد الوقت بقطع ألسنة وأيد وأرجل وتنكيل شديد، لعلّ ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادّة، ويقطع هذه العادة» (الإمتاع والمؤانسة، ص337).

لقد نما ريش الطاووس بكثرة في ذات الوزير لينزهها عن ذات العامة ضمن مفهومه الطبقي للخاص والعام - وهو بخلاف مفهوم التوحيدي الذي سنأتي عليه - إضافة لخطورة هذا الوزير وخطورة ما يريد أن يُقدم عليه من حَلٍّ لتخليص ذاته من تنقيرات وإزعاج العامة، إلا أن التوحيدي يدخل للوزير من الباب الذي يحبه، ناصحًا مختلفًا، ومُرشدًا ذا ظِل؛ فيمهِّدُ قلبه بكلام عذب ثم يُسمعه الجملة الخشناء فيقول: «ليس لمن كان الله عزّ وجَلّ جعله سائسَ الناس: عامّتهم وخاصّتهم وعالمهم وجاهلهم، وضعيفهم وقويّهم، وراجحهم وشائلهم، أن يضجر مما يبلغه عنهم أو عن واحد منهم لأسباب كثيرة، منها: أنّهم إنما جعلوا تحت قدرته، ونيطوا بتدبيره، واختبروا بتصريفهم على أمره ونهيه، ليقوم بحقّ الله تعالى فيهم، ويصبر على جهل جاهلهم، ويكون عماد حاله معهم الرّفق بهم، والقيام بمصالحهم».

ثم يحاول أن يقلب مفهوم العامة والخاصة في وعي الوزير، ويريه بأن معيار الخاصة هو الشرف الأخلاقي لا المنصب التشريفي، وبأنه مثلما يوجد ذوو خُلق وشرف في أهل الثقافة والحكم يوجد عديمو الخلق والشرف منهم، وما ينطبق على أهل الحُكم ينطبقُ على السوّقة والعوام، وإن كانوا كذلك فليس على أهل الحكم أن ينزعجوا من تنقيرات الناس، وحديثهم عن أمور الحكم والحُكام والساسة الذين قدَّرَ الله لهم تدبير أمور الناس وتصريف معائشهم وتيسير شؤون دنياهم!

يأخذ التوحيدي من ريش الطاووس الذي تضخم في ذات الوزير ويحيله قلمًا لا يكتب أوامرًا لإزاحة العامة والتنكيل بهم، بل للاندماج فيهم والاستماع لهم، لأن: «الملك لا يكون ملكًا إلا بالرعية، كما أن الرعية لا تكون رعية إلا بالملك» والعلاقة بينهم كما يراها التوحيدي علاقة تراحمية: «أوشج من الرحم التي تكون بين الوالد والولد». (الإمتاع والمؤانسة، ص337).

«الحاشية وإفساد المثقف»

لا نجد بُدًا في حديثنا عن حاشية أهل السياسة أن نتحدث عن حاشية أهل الثقافة، ولنأخذ طه حسين نموذجًا، ففي سيرته الذاتية يُخبرنا أنه دخل لعالم الكتابة دون أن يبلغ العشرين بفضل رجلين يعملان في صحيفة الحزب الوطني: الأول هو لُطفي السيد الذي كان يدعوه للاعتدال والقصد في الكتابة، والثاني هو عبد العزيز جاويش الذي كان يغريه ويحرضه على الغلو والإسراف.

فكان كلما جاء على ذكر الأزهر وشيوخه خرج من الاعتدال إلى الغلو، وكانت مصر أنذاك تشهد مرحلة انتقالية في التعليم بعد دخول الجامعات على الدراسات الأزهرية، ما جعل عميد الأدباء يتنقَّل وقد ضاق صدره بدراسة الأزهر بين سماع المعممين وسماع المطربشين، فكلما جاء على ذكر الأزهر وشيوخه خرج من الاعتدال إلى الغلو والإسراف: "وما أسرع ما انزلق الفتى من هذا النقد السخيف - يقصد نقده على نظرات المنفلوطي - إلى طول اللسان وشيء من الشتم لم تكن بينه وبين النقد صلة" (الأيام، ص285).

لم يُوبّخ طه حسين على هذا الانزلاق، أو يُعاتَب بل لقي في صحيفة الحزب الوطني قبولًا من الشيخ عبد العزيز جاويش، الذي يصفه بأن له صوتًا عذبا وحديثًا لينًا، إلا أنه من وراء هذه العذوبة واللين كان يرى: «عُنفًا أي عنف إن ذُكِرتْ السياسة أو ذُكِر الأزهر وشيوخه».

أما مدير الجريدة لطفي السيد فكان الرجل الوحيد الذي لم يتحدث عن هذا النقد الذي شغل الناس، وفهم طه حسين بعد زمن أن هذا الصمت وتجاهل لطفي السيد للموضوع كان يعني عدم الموافقة على الفصول التي نقد فيها نظرات المنفلوطي تحت عنوان «نظرات على النظرات».

يكتب طه حسين هذه السيرة آخر عمره وهو ينقد ذاته بعد أن تخطى سنينًا ما كتبه على نظرات المنفلوطي ويقول بأنه كلما ذكر فصول مقالات «نظرات على النظرات» طأطأ رأسه وسأل الله أن يتيح له التكفير عن ذنبه العظيم؛ ويكمن جمال هذه السيرة أنها من نوادر السير العربية التي لا تخضع فيها ذات الكاتب لورق ترشيح، فلا تبرز الشخصية فيها كملاك إنما إنسانًا يمشي على أرض خطاياه فيذكرها نادمًا أو ناقدًا مُتخطِّيًا.

"ويُزكّيهم ويُعلّمهم الكتاب والحِكمة"

لم يكن عبدالعزيز جاويش أصغر سنًّا من طه حسين أو أقصر باعًا في الكتابة، بل يكبره بثلاث عشرة سنة، فليس تنجو الحاشية من صناعة الطاووس بكبر سنّها أو كثرة علمها، إنما بصلاح الدوافع والغايات، ولمّا كان كذلك خاطب القرآنُ القلوبَ، وسبقت زكاتها تعليم الكتاب، لأن زكاتها رأس الحكمة، فإن فسد قلب الحاكم قومّته قلوب الحاشية، فإن فسدت فسد الحُكم وإن فسد قلب المثقف قوّمته قلوب رفاقه شيوخًا أو تلاميذًا، فإن فسدت قلوبهم فسدتْ الحِكمَة.

عن ابنتي التي لم تتزوج

عصمت الموسوي

قبل عشرين عاما كتبت مقالاً بعنوان «عن ابنتي التي لم أنجبها» وقلت فيه إن أسرة لا تضمّ أنثى بين أفرادها أسرة ناقصة، مختلة، تغيب عنها الرقة والعطف والحنان والدلال وتفتقد مناسباتها وأعيادها ذلك الفرح المُلوّن والزاخر بالبهجة، وقد تلقيت وقتها عدداً من الاستجابات والردود لنساء على شاكلتي فاتهن – لأسباب عدّة – انجاب البنت.

أتذكر هذا المقال كلما أطللت علي حفيدتي ذات الستة أعوام، إليانا الصغيرة، رأيتها تمدني بحياة تمنيتها ولم اعشها مع ابنتي التي لم أنجبها، تطلعني في كل زيارة أسبوعية على المهارات الجديدة التي اكتسبتها ورسوماتها المتطورة ورقاصاتها المبتكرة، وتريني نقش الحناء على يديها قبل كل عيد ومناسبة، قالت لي في أحد اعياد ميلادها إنها ستدعو صديقتها في الفصل إلى هذا الحفل في بيتي، وجاءت ليلى وسمعتها وهي ترافقها ممسكة بيدها وهي تحكي لها وتطلعها على تفاصيل البيت وكأنّها مرشدة سياحية، اليانا في كل زيارة تفتش في أدراجي وتستخرج أغراضي المنسية ومكياجي وعطوري وأساوري وأقراطي المنسية، تلتقط ما تشاء وترتدي ما يعجبها، كما لا يفوتها البحث في حديقتي عن الزهور والنباتات الغريبة لصنع باقة جميلة تهديها لاحقاً إلى والديها.

بالمران والتجربة أدركت إليانا ألا قدرة لها على مواجهة بطش أخيها الأكبر الأشدّ قوّة والأصلب جسداً والذي يكبرها بعامين فقط، فابتكرت وسائل ناعمة لاستمالته وتخفيف حدّة قسوته الذكورية الفطرية، حين يغيب أو يمرض تلتف حوله تجلب له الأكل، تغدق عليها بلمساتها الحانية، ولستُ أدري: أهو أمر انثوي غريزي أم حيلة مبتكرة تداري بها ضعفها وعجزها عن مواجهة من هو اقوى منها أم ماذا؟

انني كما تعلمون لا أعرف البنات ولم اتدرب على تربيتهن، وعلى يد إليانا تعلمت جزءاً يسيراً من تلك الأمور الأنثوية الصغيرة والتفاصيل الرقيقة الحانية التي لم أعرفها أنا الأم التي حظيت بولدين.

ولكن وعودةً إلى مقالي السابق عن البنت التي لم أنجبها والتي ستكون في الثلاثين من عمرها حاليا لو قدّر لها أن تعيش معي وتتلقى التعليم الجامعي وتعمل وتنفق على نفسها وتتلقى تربية أم إعلامية ومتحررة نسبياً على شاكلتي، أتراها تكون قد تزوجت واستقرت في حياة عائلية وأنجبت مثل معظم النساء أم انضمت إلى قافلة النساء الكثيرات من جيلها واللاتي فاتهن قطار الزواج واكتفين بحياة مهنية ناجحة او بدخل عائلي مريح، يُوفر لهن احتياجاتهن ويكفيهن ذلّ السؤال؟

تقول الإحصاءات إن أعداد النساء غير المتزوجات يتزايد عاماً بعد عام في كل العالم العربي في ظل صعوبة الحياة وتضاؤل الفرص الوظيفية للشباب، وأنّ كثيراً من الأسر اليوم لا تعدم وجود عدد من الفتيات اللاتي شكلن قلقاً لأسرهن كلما مضى العمر ثم سرعان ما أصبح أمراً معتاداً ومألوفا ويتزايد على نطاق واسع ويشكّل ظاهرة، إذ ما الذي يجبر فتاة أنفق عليها والداها الكثير وتلقت التعليم في أفضل الجامعات ولديها كل ما تريد من حياة أن ترضى بشاب لا يلبي طموحها ولا يتوافق مع مزاجها وتطلعاتها لمجرّد الزواج فحسب؟

إنّ فتيات اليوم «الممكنات» لا يرين في الزواج نقلة إلى مستوى أرفع وحياة أجمل وأوسع – ما لم يصادفهن الحب الذي يجبر الإنسان على الرضوخ والقبول وغضّ الطرف عن عيوب الآخر– بيد أن الحب هو الآخر نادر وعقلاني جداً في وقتنا الحاضر، وفي الغرب لا يعد عدم الزواج مشكلة، يكتفي الشباب الحالي بالمساكنة دون عقود وأوراق وارتباطات مقيُدة، وينفصلون بهدوء او بصخب أومحاكم على اقتسام تركة الحياة الزوجية ويؤسسون حياة أخرى جديدة مختلفة، ولا تدخل القيم الدينية وقدسية الزواج والحلال والحرام في أعرافهم، يرغبون في كل ما هو سهل وسريع ومريح وبلا تعقيد، رغم ذلك ليسوا أفضل حالاً منا، لكنّها مؤسسة الزواج بأشكالها المتعددة هي التي تترنح وتتصدع وتتخذ صيغاً متبدلة ومتحوّلة في كل مرحلة زمنية.

لا أعرف كيف سيكون حالي مع ابنتي «المتخيلة» التي لا تريد الزواج وترفض العرسان، وتفضل العنوسة إلى أن يأتي فارس الأحلام الذي يليق بطموحها، بل وتطلب مني إقامة وبناء قسم خاص في بيتي للاحتفاظ بخصوصيتها بعيداً عني، أو تفضل الانفصال عن الأسرة والسكن في شقة خاصة بها أو مع عدد من «صويحباتها»، إذ يبدو أن قطار الزواج قد مضى دون رجعة، هل كنت سأندم على البنت التي لم انجبها؟.

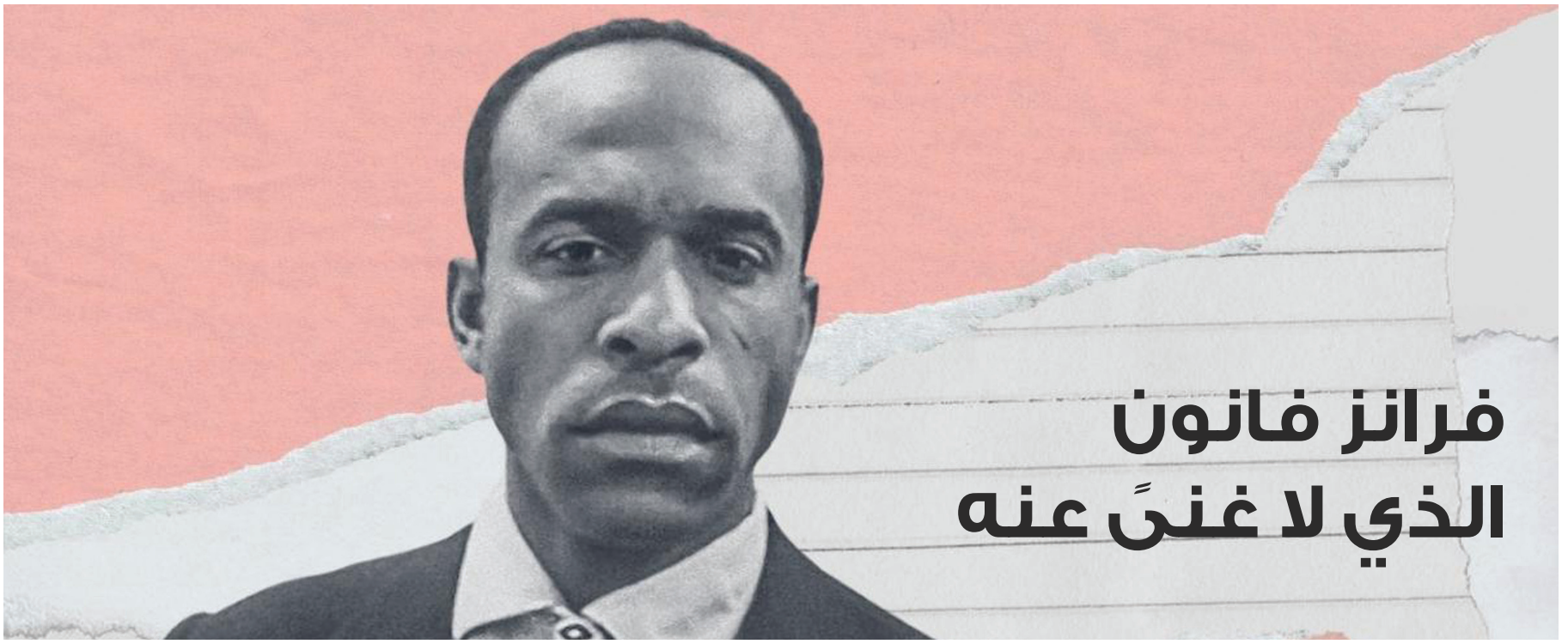

فرانز فانون الذي لا غنىً عنه

تحت عنوان «فرانز فانون الذي لا غنىً عنه»، نقلت دوريّة «كوريه أنترناسيونال» الفرنسيّة في عددها رقم ١٧٤٢ الصادر في ٢١ – ٢٧ آذار/ مارس ٢٠٢٤، مقالةً للكاتب والمُحرِّر المُشارِك في الدوريّة البريطانيّة «London Review of Books" آدم شاتز، نُشِرت بتاريخ ٢ شباط/ فبراير ٢٠٢٤. قدَّمت الدوريّةُ الفرنسيّةُ المقالةَ بالإعلان عن بيوغرافيا لشاتز ستَرى النور في ٢١ أيّار/ مايو الجاري عن عالِم النّفس والمنظِّر للنضال السياسيّ وإنهاء الاستعمار المارتينيكيّ فرانز فانون. وفيها يشرح الصحافيّ الأميركيّ آدم شاتز رؤيته لهذه الشخصيّة.

د. رفيف صيداوي

ليس من المفاجئ أن يكون اسم فانون قد استُحضر خلال المُناظرات الكثيرة التنوُّع بمقدار تنوُّع أشكال عدم الاستقرار أو الأمان لدى الأشخاص من ذوي البشرة السمراء، واستعادة النّتاج الأفريقيّ، وأزمة اللّاجئين أو الهجمات القاتلة لحماس في إسرائيل في السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023. لم يكُن نِتاج فانون قد ذُكر بهذا التكرار وذلك الإلحاح منذ نهاية سنوات الستّين، أي في الفترة التي كانت فيها حركةُ "الفهود السود"، وكان الثوّار الفدائيّون، والثوّار الأميركيّون – اللّاتينيّون يَستوحون نماذجهم من كتابه: "معذّبو الأرض"؛ وهو بيان فرانز فانون المُناهِض للاستعمار الذي ظهرَ في العام 1961.

في ذلك الوقت، كان فانون من صِغار المشاهير في صفوف اليسار الراديكالي. واليوم هو رمزٌ حقيقي. يقوم الفنّانون والجامعيّون والناشطون والمُعالجون داخل اليسار باستخدام كتاباته من أجل استخراج صيغ أو معادلات جذّابة (وهي عديدة) حول التأثيرات النفسيّة لسيطرة البيضَ، والتمثيلات الخاطئة والعنصريّة لجسد الأشخاص ذوي اللّون الأسود، ودلالة الحجاب الإسلامي، وغَضب المُستعمَرين، والعنف الاستعراضي للقوى الإمبرياليّة. لكنّ اليمينَ الراديكالي مفتونٌ هو أيضاً بعمله [ولاسيّما في فرنسا، وذلك منذ وقت طويل: الكاتب رينو كامو ورجل السياسة إيريك زمور، المُدافعان عن نظريّة الاستبدال العظيم grand remplacement العنصريّة، هُما من قرّاء فانون.

بعد مَقتل جورج فلويد في أيّار/ مايو 2020 على يد شرطيّ أبيض من شرطة مينيابوليس في الولايات المتّحدة الأميركيّة، رفعَ المتظاهرون لافتات تَستعيد اقتباساً لفرانز فانون مُستخرَجاً من "بشرة سمراء، وأقنعةً بيضاء" وهي دراسة عن العنصريّة نُشرت في العام 1952 عندما كان في السابعة والعشرين من عمره، والتي يُثبت فيها أنّ المظلومين يثورون عندما لا يعود بوسعهم أن يتنفّسوا. منذ السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر، والاحتفاءُ بفانون قائمٌ من قِبَل الطلّاب الفلسطينيّين ومُستنكَرٌ من قِبَل منتقديهم، لأنّه يُدافع عن عنف المظلومين في الفصل الأوّل من "مُعذّبو الأرض".

تَحاشي الكاريكاتور. يبدو أنّ المُشترَكَ بين عددٍ كبير، وحتّى أغلبيّةٍ من المُعجبين بفانون ومُعارضيه المُعاصرين، هو كونهم لم يقرؤوا أبعد من الفصل الأوّل من كتابه. فقد صَنعوا من هذا المفكّر المُعقّد والصارم مجرّد مؤيّدٍ ومُناصِرٍ للعنف الثوريّ بكلّ الوسائل المُتاحة؛ صَنعوا منه مالكوم إكس الفرانكوفونيّة (مالكوم إكس أو ملكوم ليتل أو الحاجّ مالك شباز، هو داعية إسلامي أميركي أفريقي مُدافع عن حقوق الإنسان، ومناضل من أجل العدل والمساواة، وُلِد في العام 1925 وتوفّي في العام 1965 – المُترجِمة). أو بشكلٍ أدقّ، صنعوا منه كاريكاتوراً كذلك الذي اختُزل فيه ملكوم إكس، شأنَ ما هو عليه الحال مع ثوّار سود غيره.

وُلِد فرانز فانون في العام 1925 في ظلّ نظام كولونيالي أو استعماري. الكلمات الثلاث الأولى التي تعلَّم كتابتَها هي: "أنا إنسانٌ فرنسيّ". وحينما وقعَت المارتينيك في قبضة فيشي، فرَّ من الجزيرة لخدمة فرنسا الحرّة. أُصيب خلال قتاله في فرنسا، ورأى نفسه حائزاً على وسام صليب الحرب.

لكنّ مشاركته في الحرب جرَّدته من كلّ وهْم حول الوطن الاستعماري. وإذا كانت له وضعيّة الأوروبيّ الفخريّ، مثَل كلّ الهنود الذين التحقوا بالمُقاومة، فإنّ الأفارقة والعرب حُكِم عليهم بالدونيّة. جاءت ردّة فعل فانون على هذه التجارب الأولى القاسية للعنصريّة بتمجيد هويّته

السوداء، وذلك قَبْلَ إنكار الإيديولوجيّة العنصريّة ورفْضِها لمصلحة مُناهَضة راديكاليّة للإمبرياليّة.

كان فانون ابن الامبراطوريّة الذي قاتلَ من أجل فرنسا خلال الحرب العالميّة الثانية، ثمّ انقلبَ عليها في الجزائر. كان هنديّاً علمانيّاً من ضمن حركة تحرير يقودها مُسلمون، وكان مثقّفاً مُجدِّداً وأنيقاً استحوذَ على إعجاب جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار.

حياته سينمائيّة كحياة مالكوم إكس. كانت لديه أيضاً موهبة الخطابة الاستفزازيّة، الغنيّة بإيقاعات الشِّعر الهندي الذي قَرأه في صباه. ونحن مدينون لفانون ببعض الشِّعارات التي لا تُنسى في النضالات من أجل تقرير المصير الوطني التي شهدتها ستّينيّات القرن الفائت: "أوروبا، حرفيّاً، هي من ابتكار العالَم الثالث".

"الإنسان المُستعمَر يتحرَّر بالعنف ومن خلاله". "هيّا أيّها الرفاق، اللّعبة الأوروبيّة انتهت حُكماً، يجب إيجاد شيء آخر".

لكن، إذا كانت هذه الشعارات قد استَعادت هالَتَها المُعاصرة (وجَعلتْ من فانون محبوبَ مُغنّي الرابّ الفرنسيّين)، فإنّها أفضت أيضاً إلى تفسير مبسّط أو محدود للغاية لحياته وإرثه.

فانونَ الذي لم يكُن داعيةً موهوباً فحسب، كان في الوقت نفسه مُدافعاً عن إنهاء الاستعمار وواحداً من مُراقبيه الذين يتمتّعون برؤية ثاقبة جدّاً. كان، ولا شكّ في ذلك، مؤيّداً للكفاح المسلّح ضدّ المُستعمِرين، لكنّه كان يوكّد على أنّ النظام الاستعماري نفسه قائمٌ أو مبنيٌّ على أفعال وأعمال عنفيّة، وأحياناً على أعمال إبادة جماعيّة، لانتزاع الملكيّة والقمع. عُنف المُستَعمَرين كان ردّة فعل: لم يكُن مولوداً من العدم. وبصفته كطبيب نفسيّ، كان فرانز فانون مُقتنعاً بأنّ للكفاح المسلّح فوائدَ علاجيّة، وذلك بما يُتيحه للمُستَعمَرين من قدرة على تجاوُز الذهول واليأس المفضيَيْن إلى الشلل، واللّذَيْن يتسبَّب بهما القهرُ الاستعماريّ، لكي يُصبحوا بذلك أسيادَ مصيرهم.

على الرّغم من كلّ ما تقدَّم، لم يَضَع فانون أشكالَ العُنف المُناهِض للاستعمار كافّةً في سلّة واحدة: فكان يَنتقد الثوّار الجزائريّين الذين ارتكبوا فظائع "بسبب الوحشيّة التي تكاد تكون فيسيولوجيّة والتي يولّدها ويرعاها القمعُ المُستمرّ منذ قرون". وفي الفصل الأخير من "مُعذَّبو الأرض" المُعنوَن بـ "الحرب الاستعماريّة والاضْطرابات النفسيّة"، والذي يتضمّن دراسات حالات حول ما نُسمّيه اليوم اضْطرابات ضغوط ما بعد الصدمة، قَرأ فانون أو توقَّع أنّ تُلقي الآثارُ النفسيّة لعنف الاستعمار وللعنف المُناهِض للاستعمار بثقلها على مُستقبل الجزائر. الجنديّ كان يرى السلاحَ كجزء أساسيّ، لا مفرّ منه، من تاريخ مُناهَضة الاستعمار؛ من خلال رعايته وصَونه كان يخاف ويخشى الحروب الداخليّة المُقبلة.

إذا كان الهدفُ الأساس للنضال الجزائري قد تَمثَّل بتحرير البلاد من السيطرة الفرنسيّة، فإنّ فانون رأى ضرورةً في أن تَفتح جبهةُ التحرير الوطني الجزائريّة أبوابَها إلى أيٍّ كان من الذين يتبنّونها، بما في ذلك الأوروبيّون من أصحاب الضمير. هويّات "المُستعمِر" و"السكّان المحلّيّين" لم تكُن هويّات ثابتة وفطريّة: كانت من صناعة الاستعمار وستختفي باختفائه. كما كتبَ فانون أنّ المُستعمَرين سيكتشفون "الإنسان الكامن خَلف المُستعمِر".. والعكس صحيح؛ وأنّ "الكراهيّة لا يُمكنها أن تشكّلَ برنامجاً".

ليس هناك من قَدَر. الواقع كان أقلّ توهُّجاً. عددٌ قليلٌ فقط من الأوروبيّين التحقوا بالنضال من أجل الاستقلال. الغالبيّة منهم ساندت الوجودَ الفرنسيّ واعتبرتْ أنّ القمعَ الوحشيَّ من قِبَل الجيش الفرنسي

هو حرب ضروريّة ضدّ "الإرهاب".

هذا الوضع أضرَّ كثيراً باحتمال قيام تعايُش بين مُسلمين وأوروبيّين في ظلّ جزائرَ مُستقلّة. وكما اكتشفَ فانون عندما كان المتحدّث الرسمي باسم جبهة التحرير الوطني في تونس، كان حلفاؤه التقدّميّون في الجبهة أقليّة، وكانوا مُتجاوَزين في العدد والسلاح من وطنيّين عرب وشعبويّين إسلاميّين ذوي ميول أكثر سلطويّة.

على الرّغم من أنّه كان شاهداً على التعصُّب والعنف اللّذَيْن كانا سائدَيْن داخل جبهة التحرير الوطني، استمرّ في أن يكون جنديّاً مُلتزماً وداعماً الخطّ الرسمي. لكنّه في "معذّبو الأرض" كان يخشى ألّا يُفضي التحريرُ الوشيكُ للجزائر وللقارّة الأفريقيّة إلى حريّة حقيقيّة للمظلومين، وذلك بمقدار ما كانت "البرجوازيّة الوطنيّة" الجشعة والفاسدة تُطوِّق وتُعرقِل قيامَ ثورة اجتماعيّة أكثر طموحاً.

في كتاباته وعمله كطبيب نفسيّ، قدَّم فانون رؤيةً ثوريّةً حول ما كان يُسمّيه "نَزْع الاستلاب": التزام حيال الحريّة الجمعيّة والفرديّة؛ وهو التزامٌ تحدّى، في بعض الجوانب، القضيّةَ التي تبنّاها هو نفسه. فليس من المُستغرب أن يكونَ محطَّ إعجاب من قِبَل المثقّفين الشباب في الجزائر اليوم، حيث يَشعر الجمهورُ بالاختناق بسبب النظام السلطوي، والسلطة الغامضة التي تحتفظ إلى اليوم بالسيطرة على البلاد.

بالنسبة إلى فانون، "القفزة الحقيقيّة تتمثّل بإدخال الاختراع أو الابتكار إلى الوجود"، وهو الأمر الذي كان يبدو له جزءاً لا يتجزّأ من القفْز نحو الحريّة ولا يُمكن فصله عنها. اليوم تبدو فكرة القفزة فوق القضايا العنصريّة والإتنيّة والدّينيّة غريبة وخياليّة، حتّى أنّها غير مُستحَبّة أو غير مرغوب بها لدى البعض. لكنّ فانون كان مُقتنعاً بأنّ المُعتقلات والسجون العنصريّة والاستعماريّة التي كان ملايين الرجال والنساء مُحاصَرين أو محشورين فيها، أنشأها البشرُ ويُمكن هدْمُها من طَرَفهم.

لم يقُم أحدٌ بتسليط الضوء على العالَم الخيالي للعِرق وللاستعمار – الطُّرق التي أثَّر فيها القمع في نفسيّة السكّان – بتلك القوّة السوداويّة للغاية كما فعلَ فرانز فانون. إنّه السبب الرئيس لشعبيّته الحاليّة. لكنّه كان، وللمُفارَقة، متفائلاً، وهذا ما يُميّزه بوضوح عن مفكّري اليوم ومُناضليه الراديكاليّين.

بالنسبة إلى ضحايا العبوديّة والاستعمار، كان التاريخ قاسياً، لكنّ ذلك لم يُشكّل برأيه قدراً: "أنا لستُ عبداً للعبوديّة التي جرّدت آبائي من إنسانيّتهم" يقول في "بشرة سمراء، وأقنعة بيضاء". يكمن أملُهُ في قدرة الإنسانيّة على الولادة من جديد وعلى الابتكار، وفي قدرة التاريخ على اتّخاذ بدايات جديدة.

في وداعه أوروبا في ختام "معذّبو الأرض"، حَلَمَ بإنسانيّة جديدة مُتحرِّرة من الاستعمار ومن الإمبراطوريّة: "نحن لا نريد اللّحاق بأحد، بل نريد أن نمشي طوال الوقت، ليلَ نهار، بصحبة الإنسان، بصحبة جميع البشر".

إنّه الإصرارُ على الصراع من أجل الحريّة والكرامة في وجه القمع، وهي القناعةُ بأنّه ذات يوم "سيُصبح مَن هُم في الخلف في المقدّمة أو الأوّل" في وَسْم كتابات فرانز فانون بقوّتهم النّابضة بالحياة.

فانون كان داعيةً موهوباً ومُدافعاً عن إنهاء الاستعمار وواحداً من مُراقبيه الذين يتمتّعون برؤيةٍ ثاقبةٍ جدّاً

محمود درويش وسميح القاسم في مهرجان الشباب ١٩٦٨

بطـــولـــة شـــائكـــــة

محمود درويش وسميح القاسم مع الجواهري

«في ردهة أحد المسارح الكبرى في صوفيا، (أواخر يوليو عام ١٩٦٨) كان الأديب المصري يوسف السباعي يبحث بلهفة عن شخصٍ ما. ليلة الشعر العربي المقامة في ذلك المسرح، كانت إحدى الفعاليات المصاحبة للمهرجان الدولي السابع للشبيبة والطلبة الذي استضافته عاصمة بلغاريا تلك السنة. كان يبحث بالتحديد عن شاعرٍ شابٍ قادم من فلسطين المحتلة، ذاع صيته في العالم العربي آنذاك. عندما إلتقاه تفاجأ بشدة بنحول الشاب الحليق الواقف أمامه: (أنت محمود درويش؟ ظننت أنك سمين ولديك شارب!)».

محمد ديتو

بهذا المشهد تستهل مها نصار الفصل الأخير من كتابها (إخوة متباعدون: مواطنو «إسرائيل» الفلسطينيون والعالم العربي)، والذي سلطت الضوء فيه على ملابسات مشاركة محمود درويش وسميح القاسم ضمن وفد شبيبة الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) في ذلك المهرجان، والتعقيدات المصاحبة لاستقبالهم هناك من قبل الوفود العربية.

على النقيض من لهفة يوسف السباعي للقاء محمود درويش، كان هناك موقف رافض من قبل بعض الوفود العربية، خاصة الوفد السوري الرسمي، الذي منع أعضائه من الاتصال بأي شخص من «الوفد الصهيوني» – حسب تعبيرهم – بما في ذلك الشاعرين سميح القاسم ومحمود درويش. وصل الأمر إلى درجة «أن بعض المندوبين السوريين وزعوا منشورات تزعم بأن الرجلين في المهرجان كانا في حقيقة الأمر عملاء للموساد، أرسلا لانتحال شخصية الشعراء الحقيقيين الذين تمّ حبسهم في سجن إسرائيلي». ساهمت بعض الصحف العربية أيضاً في حملة الإدانة والتشويه، عبر ترويج شائعة أن الشاعرين سارا تحت راية العلم الإسرائيلي في المهرجان، كما تمّ التشهير بهما على أساس أنهما سافرا إلى المهرجان بجواز سفر إسرائيلي.

تقول مها نصار بأن الموقفين المتناقضين (يوسف السباعي مقابل الوفد السوري) «يعكسان الغموض الذي أحاط بالموقف تجاه الفلسطينيين في إسرائيل، وخاصة شعراء المقاومة، في المخيال السياسي العربي بعد حرب يونيو 1967». من جهة هناك أقصى درجات الحب والإعجاب، ومن جهة أخرى أقصى درجات الكراهية والتخوين. هذا الشدّ والجذب بين الحب والتبجيل من جهة، والتخوين والكراهية من جهة أخرى، جعل من بطولة شعراء المقاومة القادمين من الأرض المحتلة آنذاك أمراً شائكاً بالفعل.

تبين الباحثة بأن «قصائد شعراء المقاومة قد برهنت على أن الهوية الوطنية الفلسطينية قادرة على الصمود حتى بعد عقدين من المحاولات الإسرائيلية للمحو، بل ويمكنها أن تظهر تحدياً أكثر من ذي قبل. نتيجة لذلك، احتفل بهم المشهد الثقافي العربي كعلامة أمل، وسط يأس الهزيمة بعد نكسة 1967». لعب أدباء كبار دوراً هاماً في التعريف بشعراء المقاومة، في طليعتهم غسان كنفاني في كتابه «أدب المقاومة»، ولاحقاً كتاب رجاء النقاش عن «محمود درويش» . بيد أن «البروز المتزايد لشعراء المقاومة أدى أيضا إلى مناقشات وجدل حاد في الأوساط الفكرية العربية بشأن تعريف أدب المقاومة الفلسطينية..». فالبعض إعتبرهم شعراء «معارضة» وليسوا «مقاومة» (أدونيس)، وأن المقاومة ترتبط بالضرورة بالكفاح المسلح فقط، كما رأى البعض الآخر أن أدب المقاومة لا يمكن إلا أن يكون خارج الوطن المحتل (غالي شكري) . كان هناك جهل للظروف التي كان الفلسطينيين بالداخل يرزحون تحتها، ونضالهم ضد مصادرة الأراضي، ومحو الهوية الفلسطينية تماماً. ترافق مع هذا الجهل غموض والتباس في مفهومي المقاومة والمعارضة، والفرق بينهما.

بالإضافة إلى هذا الجدل الفكري والثقافي، كان هناك جدل سياسي حاد، أثر على الكيفية التي تمّ بها التعاطي مع شعراء المقاومة. إذ كما تشير الباحثة فإن جزءاً كبيراً من حالة اللغط التي أحاطت بالعلاقة مع

الشاعرين في مهرجان صوفيا، ترجع ليس لكونهم من فلسطينيي الداخل، بل لعضويتهم في وفد شبيبة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح)، وتصف الوضع بقولها: «من ناحية، وافق الحزب على الموقف الذي تبناه جميع العرب في معارضة الهجمات الإسرائيلية بشدة خلال حرب عام 1967 واحتلالها للأراضي العربية. ولكن من ناحية أخرى، لم يعتمد حزب «راكاح» ولا شعراء المقاومة بالكامل منطق إنهاء احتلال اسرائيل لفلسطين وفق نصوص الميثاق الوطني الفلسطيني (الذي تمّ تعديله قبل أقل من أسبوعين من مؤتمر صوفيا للشباب والطلبة الذي حضره درويش والقاسم). كانت دعوة الميثاق إلى الكفاح المسلح باعتبارها الطريقة الوحيدة لتحرير فلسطين (المادة 9)، وإعلانه بأن اليهود يشكلون مجموعة دينية وليسوا مجموعة وطنية (المادة 20) تتعارض مع كيفية فهم قادة حزب «راكاح» للصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين «حيث كانوا يأملون في دولة ديمقراطية يتعايش فيها اليهود والفلسطينيين بدون صهيونية».

ضمن هذا السياق المشحون سياسياً بمواقف متناقضة واستقطابات حادة، أتت مشاركة الشاعرين محمود درويش وسميح القاسم في المهرجان الدولي السابع للشباب والطلاب، الذي عقد في صوفيا في الفترة من 26 يوليو إلى 6 أغسطس 1968، «لتشكّل نقطة تحوّل في العلاقة بين الفلسطينيين في إسرائيل والفلسطينيين في المنفى والعالم العربي»، حسب تعبير الباحثة. ويمكن القول بأن تلك المشاركة أثرت عميقا في وجدان الشاعرين، فقد كانت السفرة الأولى لهما خارج الوطن المحتل، إلا أنها كانت لسوء الحظ مشوبة بسموم الإشاعة التي طاردتهم لعقود لاحقة، وستكون تداعياتها عميقة الأثر خاصة على محمود درويش كما سنرى لاحقاً.

تجدر الإشارة الى أن الاتحاد السوفيتي وبلغاريا قد قطعا علاقاتهما الدبلوماسية مع اسرائيل في أعقاب حرب 1967، الأمر الذي دعا اللجنة التحضيرية للمهرجان إلى رفض دعوة أي وفد رسمي إسرائيلي يدعم تلك الحرب، باستثناء دعوة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) الذي عارض الحرب منذ البداية، واستمر في دعوة إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة.

سنقرأ بعض تفاصيل مشاركة شبيبة راكاح كما وردت في جريدة الاتحاد في عدد 2 أغسطس 1968: «عندما دخل الوفد ساحة مدرج لبسكي في العاصمة البلغارية، جوبه بمزيج متناقض من ردود الفعل: بعض أعضاء الوفد الفلسطيني هتفوا ضده « تسقط الصهيونية»، بينما عندما مرّ الوفد أمام وفدي الأردن واليمن الجنوبي، قوبلوا بالتصفيق الحاد وبهتافات تعبر عن الاحترام لقوى السلم في إسرائيل» حسب تعبير الجريدة. في سنوات لاحقة سيكتب سميح القاسم كيف أنه ومحمود درويش قررا السير على مسافة ما، خلف الوفد خلال الموكب الافتتاحي، حتى لا يضطرا للسير خلف العلم الإسرائيلي. كما قررا أيضا طي وثني السترات الرسمية لشبيبة «راكاح» على ساعديهما، لإخفاء شعار الحزب.

الطلبة العرب الدارسون في صوفيا آنذاك احتفوا بحرارة بمقدم الشاعرين من الأراضي المحتلة، وتشير الباحثة إلى «لقاءات سرية نظمها بعض الطلبة العرب في صوفيا للاحتفاء بالشاعرين (سميح القاسم ومحمود درويش) تمّت في سكن الطلبة الجامعي»، كما تحكي عن «لقاء سري جمع درويش والقاسم مع الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري. فقد ذهب الشاعران في صباح أحد الأيام وفاجأا الجواهري في غرفته بالفندق وإلتقطا صورة معه. «بعد التقاط الصورة، كان لدى الجواهري طلب واحد: ألا ينشروا الصورة، خشية أن تثير الشكوك في الجهاز الأمني في العراق».

تفاوتت ردود الأفعال تجاه الشاعرين بعد مهرجان صوفيا، ما بين جهات مؤيدة، وأخرى تدين الشاعرين (درويش والقاسم). من اللافت للنظر موقف عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أحمد صدقي الدجاني في مقالة نشرها في صحيفة الجمهورية بالقاهرة آنذاك: «ليست هناك حاجة إلى التسرع في إدانة بطل عربي لمجرد أنه يحمل جواز سفر إسرائيلي تمّ فرضه عليه، طالما أن هذا العربي يؤمن ويعمل من أجل تحرير أرضه. بعد كل شيء، تمّ فرض جواز السفر الإيطالي على ليبيا لبعض الوقت، وأجبر جواز السفر الفرنسي على الجزائر لبعض الوقت. زاد هذا الفرض فقط من تصميم المقاتلين أثناء قتالهم أثناء حمل جوازات سفر العدو».

في حقيقة الأمر سنرى أن حالة الالتباس في فهم وضع الفلسطينين بالداخل لم تكن مقتصرة على من هم بالخارج، بل كانت تؤرق العديد من فلسطيني الداخل أنفسهم، وجعلتهم في مأزق شائك: هل يقارنون فعلاً وضعهم بالشعوب المستعمرة بالجزائر وليبيا مثلا، والتي انتهي حالها بطرد المستعمر نهائياً واحراز الاستقلال الوطني؟ (الأمر الذي كان سيعني وقوفهما مع مواقف منظمة التحرير الفلسطينية وتجريمهما من قبل السلطات الاسرائيلية)، أم سيصرون على رهانهم المستقبلي في التعايش بين اليهود والفلسطينيين ضمن دولة إسرائيل والتعامل مع نضالهم ضد «الصهيونية»، كما يتعامل رفاقهم في بقية الدول العربية مع «الرجعية العربية»، أي بتقسيم عملية النضال إلى مراحل يتمّ التدرج فيها من واحدة إلى أخرى؟ الأمر الذي سيجعل من نضالهم السياسي بداخل إسرائيل شرعيّاً طالما عملوا مع رفاقهم اليهود، ولكن سيعزلهم ويفصلهم عن نضالات الخارج تماماً. لم تكن الخيارات هنا ترفاً فكرياً، بل مسألة ذات تأثير عميق في هوية الشاعر والأديب ولها استحقاقات مصيرية ستؤدي إما الى البقاء داخل إسرائيل أو مغادرتها نهائياً.

صحيح أن الحجة الداعية الى استمرار البقاء في فلسطين المحتلة كانت ترتكز على أن الصمود هو شكل من المقاومة، إلا أنه على الرغم من ترابط هذين التعبيرين (صمود – مقاومة) إلا إنهما ليسا متطابقين في المستوى والمعنى دائماً.

سيدرك البعض أن فعل المقاومة يتطلب القيام بشئ يتجاوز مجرد البقاء في الوطن (الصمود). ربما كان شئ من هذا القبيل يختمر في ذهن الشاعر الشاب محمود درويش وهو يقف وسط العمارات السكنية ذات العشر طوابق، والتي كانت تأوي مندوبي المهرجان في ضواحي صوفيا، كل عمارة استوعبت أربعة وفود: إحداها ضمت وفود فلسطين والأردن بالاضافة الى المكسيك وبنما وكولومبيا، بينما لم يشترك أي وفد عربي في العمارة التي ضمّت الوفد الإسرائيلي. كما ذكر درويش لاحقاً، لخص هذا التقسيم المكاني كافة التناقضات في حياته: «ماذا يعني الوقوف في صوفيا بين مبنيين، أحدهما يرفع العلم الفلسطيني والآخر الإسرائيلي؟ وهل أنت قادر على تجسيد الروح الفلسطينية تحت العلم الإسرائيلي؟ أو: هل يمكنك أن تكون شيئاً وعكسه في نفس الوقت؟ وما وراء كل ذلك، من أنت؟».

سيدرك البعض أن فعل المقاومة يتطلب القيام بشئ يتجاوز مجرد البقاء في الوطن (الصمود)

الفَقِيدُ الهَارِب

كان إعلانا صغير الحجم، ذلك الذي ألصق بالقرب من إعلان لشركة مشروبات غازية، وكان الصغير الذي أطال التأمل فيهما قد ظنهما إعلانا واحدا، وهو ما جعل شرطي الأمن يوقف سيارته؛ ليسأله إن كان رأى الشخص المطلوب داخل الإعلان أم لا، «سيدي هل مشروب (مطلوب حالا) يباع عند بقالة بيتكم؟ فهو غير موجود هنا»، كان الصغير هو من ابتدأ الشرطي بالسؤال لا العكس، اقتلع شرطي الأمن الإعلانين معا وغادر بسيارته.

نص: محمد رضي

لقد مر ثلاثون عاما منذ أن هرب ميت من مقبرة ما، يقول حارس المقبرة (الحاج يونس): إن الموتى يستيقظون أحيانا؛ فهو يسمع أحاديثهم عند جولات حراسته الثلاث؛ لكنه لم يسمع أحدا يتحدث عن الهرب، كان يظن أن الرواية المتداولة قبل ثلاثين عاما ليست سوى خرافة، ولما حفر قبرا له قبل يومين- وهو سلوك شائع بين المؤمنين- قال: «عندما أموت، ادفنوني هنا، لا أريد الهرب، ولا الاستيقاظ، أريد فقط أن أموت»، ولذلك قبره منزو بعيدا عنهم؛ كي لا يحظى بالحديث مع أحد.

كان ذوو الفقيد الهارب قد تكتموا على الموضوع، ومع ذلك كانت الشائعات قد أخذت بالانتشار بين أهل القرية، لاسيما عند تلك البيوت المحاذية للمقبرة؛ كبيت (إبراهيم الأجعد)، وهو رجل عجوز قصير القامة، له أنف طويل مدبب، في صباه كان يملك شعرا مجعدا وأشعث، وسخا وقذرا، حتى إن مياه العين نفسها- رغم كثرة وروده إليها- لم تفلح في تنظيفه، وهو ما جعل الناس تطلق عليه لقب الأجعد حينها، أما اليوم فهذا الرجل العجوز صاحب الظهر المحدودب مثل قوس روبن هود قد غزا الصلع رأسه منذ زمن بعيد، ولم يعد يمتلك شعرة واحدة؛ لكن هذا لم يوقف أهل القرية عن وصفهم له بالأجعد، وطغت هذه التسمية حتى على لقب عائلته الذي لا يذكره أحد سواه. كان إبراهيم ضعيف السمع قليلا، وضعيف البصر بشكل أكبر، إلى درجة أنه يعجز عن قراءة أية مخطوطة مهما قربتها ورفعتها عند وجهه، ومن أجل ذلك إنما استهجن الناس روايته، وضحكوا منه أيما ضحك، وسخروا منه وأهانوه أيما إهانة، عندما وقف وسط المقهى العتيق في القرية، ممسكا بملعقة حديدية صغيرة ضاربا بها كأس الشاي الزجاجي؛ مخرجا صوتا يشبه الجرس؛ راغبا في صرف الأنظار ناحيته، وهي عادة دأب الحكواتي القديم للقرية على استعمالها، فكان يضرب الملعقة بكأسه مرة إلى خمس مرات؛ حتى إذا ما تيقن أنه كسب انتباه الجميع، شرب ما تبقى من الشاي في الكأس، وراح يحكي حكايته العجيبة لرواد المقهى المتعطشين إلى عذوبة حديثه وأسلوبه الفاتن الذي يغشاهم كالسحر، فيسود الصمت المكان، ولا ينبس أحد ببنت شفة، ولا تسمع حينها إلا صرير الجدجديات (صرار الليل)، وخرير الماء في بساتين القرية، وصوت الحكواتي الراحل.

على النقيض تماما كان (إبراهيم الأجعد)، قد احتاج إلى أكثر من إحدى عشرة ضربة حتى انصرفت أنظار الناس إليه، لا فضولا ولا احتراما، فقد خسر احترام الناس منذ زمن بعيد، ولا يتذكر متى كانت آخر مرة تلك التي عامله فيها الآخرون بلطف وأدب، أو أشفقوا على بياض لحيته وكهولته، إنما انشد الناس إليه بسبب تلك الضربات للكأس التي أعادت إليهم الذكريات اللطيفة للحكواتي الراحل، حول نظره ناحيتهم، وعندما تيقن فعلا من أنه صار في دائرة انتباههم، تملكه الغرور لوقت قصير جدا، وشعر أنه يملكهم للحظات، وبيده أن يغويهم إن هو شاء، بيده أن يكذب أو يصدق، يتحدث أو يصمت، يسترسل أو لا يفعل؛ لكن ما لبث أن تبخر كل ذلك الزهو والغرور عندما أطلق شاب عشريني ضحكات ساخرة في المكان، وهو يقلد ضربات إبراهيم لكأس الشاي، فتعززت ثقة الأجعد من جديد، صار جبينه يتصبب عرقا من شدة الخجل، وجه نظره ناحية الأرض، وهو يتلعثم بكلام غير مفهوم، كأنه يراجع قصته عن طريق سردها لنفسه جهرا؛ لكن حتى هو نفسه لم يع ما كان يقول، قرر إغماض عينيه كي لا يضطر إلى مواجهة نظراتهم الساخرة حينما يبدأ، صنع ابتسامة مزيفة وغير حقيقية، أعادت إليه هذه الابتسامة الكاذبة

بعض الثقة المتبخرة، وإن كان بنسبة ضئيلة، صمت ثواني معدودة، وقبل أن يتجاهلوه من جديد، بدأ الكلام: «أيها الناس.. بالأمس، خلف بيتي تماما، وبينما كنت في طريقي إلى المقهى، تسلق ميت سور المقبرة، وهم بالركض مسرعا حتى اختفى». ارتجف بشدة، ثم تذكر أنه لم يشرب الشاي قبل أن يبدأ الكلام مثل الحكواتي الراحل..

شرب الشاي، وواصل حديثه متقطعا ومرتجفا: «أقسم لكم؛ لقد رأيت كفنا برجلين يتسلق السور، ويركض هاربا دون أن يراه أحد». كان ذلك أول تشبيه بلاغي يستعمله إبراهيم في حياته، وهو أبعد ما يكون عن ذلك، فأقصى قدراته المتاحة كانت هي قول الحقيقة، ناهيك عن الإضافات البلاغية التي لا يفقه فيها شيئا، كل ما في الأمر أنه وصف المشهد كما رآه «كفن برجلين». أراد إبراهيم مواصلة الحديث؛ لكن السباب والشتم سيطر على المكان، ثم تطايرت الأحذية والقاذورات وحتى البيض والطماطم، وكل ما يمكن حمله كان يطير ويصطدم بوجه المسكين الهرم، حتى غطت الدماء جسده بالكامل، وإن لم يكن قد مات في تلك الليلة فإن السبب وراء ذلك كله هو تدخل (الحاج يونس) حارس المقبرة، وأمره الناس بالرفق بالكهل العاجز، والتوقف عن سبه وإهانته، ثم ها هو يبالغ في تلطفه وترفقه أشد مبالغة، فيأخذ بيد (الأجعد) الآثم، ويوصله إلى بيته. ولتلك الشفقة البسيطة إنما راح الناس يتناقلون تلك الرواية معتقدين أنها تميل إلى الحقيقة.

إن لمقبرة القرية مكانتها الفريدة بين مقابر البلد، بوصفها مقبرة أصيلة عريقة متمسكة بالتاريخ والتقاليد، حتى إن الناس خارج القرية –بل خارج البلد– صاروا يوصون أهلهم بالدفن فيها، فما هي إلا سنوات قليلة حتى أصبح الحصول على قبر في هذه المقبرة أشبه بالحلم، وفي العام الماضي أعلن (الحاج يونس) عن أن المقبرة وصلت إلى الحد الأقصى، ولم يكن في وسعها استقبال مزيد من الموتى.

فما الذي حدث؟ ومن أين لأحد هذه الجرأة في ضرب الأعراف بالحائط، وتلطيخ سمعة القرية وتشويهها هذا التشويه؟ وكيف لميت أن يفكر مجرد التفكير في هجر قبره، والركض هربا؟! يا للعار! من عساه يهرب وهو يملك ما يملك من نعيم؟! من عساه يعارض القيمة المقدسة للموت، ويهرب إلى الحياة مثل اللصوص العصاة؟! يا للعار الذي لحق بهذه القرية المسكينة.

مع أن اليوم ليس يوم عطلة، ولا حتى يوما معهودا لزيارة المقبرة؛ إلا أن الناس قد اصطفوا منذ الصباح في طوابير عريضة منتظرين دورهم للدخول إلى المقبرة، والتفرج على القبر المفتوح للفقيد الهارب، احتاج (الحاج يونس) لأن يغلق المقبرة أسبوعا كاملا؛ كي تهدأ تلك الضجة حول المقبرة التي يحرسها بعد رواية (إبراهيم الأجعد) في المقهى؛ لكن ما حدث كان العكس تماما، بدأ الناس بتناقل الفضيحة بينهم، وأخذت الجهات الإخبارية والصحف المحلية والخارجية تبث الخبر طوال الأسبوع الماضي، وهو ما دفع الشرطة إلى إجراء تحقيق رسمي، وتوزيع الملصقات بغية القبض على الفقيد الهارب صاحب الكفن ذي الرجلين.. لم يتعرفوا إلى هويته بالطبع؛ لكن الملصق كان يحوي رسما تقريبيا لشخص داخل كفن يركض هاربا.

كانت التكهنات لا تتوقف، وكل عائلة تتهم الأخرى بأن فقيدها هو الذي هرب، وجلب الفضيحة للقرية، وعائلة أخرى تقسم بأن الفقيد ليس منها، بل من عائلة فلان وفلان، لذا ها هم الناس قد اجتمعوا بهذا العدد المهيب والمخيف منقادين إلى الفضول كانقياد الجند لقائدهم، لقد أرق الفضول مضاجعهم، وسلب راحتهم وسكينتهم، وصارت القرية –التي لم يسبق أن دخلها تلفاز قط– خبرا رئيسا في تلفاز الآخرين بالخارج، وتعرف أهل القرية إلى آلة التصوير (الكاميرا) للمرة الأولى، من يا ترى الميت الهارب، امرأة أم رجل؟ هل هو حقا من خارج القرية أم من خارج البلد؟ ذلك أن التفكير السائد حينها أنه يستحيل على من ينتمي إلى قريتنا أن يقوم بفعل كهذا الفعل، «هذا ليس من شيمنا» قال أحد كبار السن معللا، وتابع مسن آخر مؤكدا: «بلا شك.. الأرجح أنه من خارج البلد حقا»، هذا ما اخترعه الناس، ثم صدقوه.

يبدو أن (الحاج يونس) ما زال عازما على عدم فتح الباب في ذلك اليوم، عنيد ومتشبث برأيه، غير مكترث بكل أولئك الألوف في الخارج، وهو ما أدى بالناس إلى الجنون ونفاد صبرهم، تعاونوا مع بعضهم بعضا، وفي المحاولة الرابعة سقط الباب أرضا، تدافع الناس فوقه كالسيل، ومن فقد توازنه وسقط في ذلك اليوم صار مداسا للأحذية والأقدام، صاروا يركضون فوق بعضهم بعضا، حلت الفوضى في المكان، وعندما قطعوا مقدمة المقبرة ووصلوا إلى القبر الأول، دوى صمت هائل في المكان، وخرست الألسن عن النطق لهول المشهد ورعبه، وتساقطت بعض النسوة إغماء وفزعا مما يرين، وصار أهل القرية يشيحون بوجوههم خجلا وحزنا عن قبور أحبتهم، يا لهذه الصدمة! ويا لهذا العار الذي لا تغسله بحار الدنيا كلها! تحولت الفوضى إلى مأتم شجون وبكاء، كانت جميع القبور مفتوحة، وكان الموتى قد هربوا جميعا، عدا صاحب القبر الطري المنزوي بعيدا، والذي أغلق للتو، صاح أحدهم: «إنه قبر (الحاج يونس)، فتح القبور جميعها ونزل إلى قبره».

ليلى العثمان.. حكـــايـــة امرأة شجاعة

لا زلنا بانتظار أن تكتب ليلى العثمان سيرتها الذاتية ولو في قالب روائي فلديها الكثير لتقوله عن حياتها وعن إبداعها

د.بروين حبيب

ما كان يعد قبل ثلاثين عاما تجاوزا أخلاقيا وجرأة في الكتابة الروائية، يكاد أن يصبح الآن محافظة وحشمة في مواجهة التفلت الذي فرضته وسائل التواصل الاجتماعي، ومن يقرأ بعض المحاكمات الأخلاقية والفعلية التي تعرض لها روائيون مثل نجيب محفوظ في «أولاد حارتنا» وحيدر حيدر في «وليمة لأعشاب البحر» أو ليلى بعلبكي في «أنا أحيا» يبتسم مستغربا في موازاة ما ينشر الآن من كتابات تلامس حدود الإباحية وتتفلت من أية قيود. خطرت بالبال هذه الفكرة وأنا أسترجع معركة الروائية ليلى العثمان مع ذوي القراءة الأحادية الذين رفعوا ضدها دعوة بسبب «عبارات تمس الذات الإلهيّة، ومنافية للأخلاق ومخلّة بالآداب» كما جاء في وصفها. انتهت المحاكمة بعد أربع سنوات بالحكم عليها بالسجن لشهرين أو دفع خمسين دينارا كويتيا غرامة، وقد علقت يومها ليلى العثمان بكل مرارة على هذا الحكم الذي رأته جائرا بقولها «حكَمَ علي القاضي بالسجن. خمسون دينارا لوقف التنفيذ كانت كفيلة لتمنحني الحرية! ماذا عن سجن الحياة؟ كم يمكن أن ندفع لنكسر قضبانه؟».

عرفت ليلى العثمان من خلال كتابتها قبل المعرفة الشخصية، فلا زلت مدينةً لسنوات التكوين في جامعة البحرين – بما فيها من حراك ثقافي وتتبُّع لثمرات المطابع إبداعا ونقدا وترجمة – لأنني خلالها تعرفت على أغلب الروائيين والكتاب من عرب وأجانب، وكانت ليل العثمان من ضمنهم، فقد بدا شغفي بكتاباتها من خلال روايتها «وسمية تخرج من البحر» التي صنفت ضمن أهم رواية مئة رواية عربية في القرن العشرين وتحولت فيما بعد إلى عمل تلفزيوني ناجح واقتبست للمسرح أيضا. تلك الرواية التي سلطت الضوء على رعب الفتاة الكويتية من سطوة التقاليد، إلى حد أنها تختبئ في البحر خوفا من أن تُرى مع حبيبها فيخطف البحر روحها. من خلال هذا النص الموجع دخلتُ إلى عوالم ليلى العثمان وكانت مفتاحي إلى الأدب النسوي الخليجي الذي كافح كثيرا لينتزع اعتراف البطريركية الذكورية به، وما زال التشكيك به قائما إلى الآن رغم الأصوات النسائية الخليجية التي قدمت سرديات متميزة استحقت عليها جوائز عالمية. رواية «وسمية تخرج من البحر» جذبتني لتتبع كتابات ليلى العثمان القصصية والروائية وأكثر ما جذبني فيها أمران يشكلان العمود الفقري لإبداعها، تركيزها على البيئة الكويتية القديمة بحواريها وتقاليدها وأماكنها داخل السور كما تسميه وهذا مشابه للوسط الذي نشأت فيه بالمنامة فالتقاليد بين البلدان الخليجية تتقاطع كثيرا فكنت أجد نفسي في الحيّز الذي يتحرك فيه أبطالها بل وفي حكاياتهم المشابهة لما ألفته. ولا يزال هذا النمط من الكتابة يستهويني أجده واضحا عند نجيب محفوظ ومحيطه القاهري الشعبي وعند آخرين مثل غائب طعمة فرمان والمحلية العراقية في كتاباته.

أما الأمر الثاني الذي شدني إلى أدبها فما صار علامتها المسجلة لها أي جرأتها في قول ما تعتقد به وتحيّزها اللامشروط لقضايا المرأة وهمومها في مجتمعات محافظة ومنغلقة أحيانا كثيرة. تناولتْ قضايا هي من التابوهات في مجتمعها الكويتي بل جسّدتها في حياتها أيضا فتزوجت مثلا وهي الكويتية بنت العائلة المعروفة بفلسطيني مما كان يُعدُّ خروجا عن الأعراف، ورغم ذلك تصف نفسها بأنها امرأة مذعورة تخاف من كل شيء، إلا أن كتاباتها تقول عكس ذلك ومن يقرأ كتابها «المحاكمة .. مقطع من سيرة الواقع» الذي تعرّضتْ فيه لتفاصيل معركتها القضائية وقد أهدته إلى من رفعوا ضدها القضية، لا يملك إلا أن يُعجب ويتعجّب من هذه الروح القتالية التي تمتلكها هذه المرأة الشجاعة سواء اتفقنا مع أفكارها أو اختلفنا. ويكفي أن نذكر أن لديها ستة كتب ممنوعة في بلدها الكويت لنرى عدم مهادنتها وإصرارها على ما تعتقده.

أول لقاءاتي الشخصية بالروائية ليلى العثمان كان في منتديات مهرجان القرين الثقافي في الكويت وأصبحت زيارة هذا البلد لا تكتمل عندي إلا بالتعريج على صالونها الثقافي الذي تحول إلى محطة لا بد منها لكل من يتعاطى الشأن الثقافي بمعناه الواسع، فلم يكن هذا الصالون وقد حضرته مرارا مقتصرا على النقاشات االأدبية بل تتداخل فيه الفنون جميعها من فن تشكيلي وشعر وموسيقى حيث تكون عادة فرقة للفن الشعبي السامري الكويتي حاضرة. وفي هذا الصالون الذي يتحول إلى جامعة عربية ثقافية تلتقي فيه بالمغربي محمد برادة والجزائري واسيني لعرج والسعودي سعد البازعي. ويحسب لليلى العثمان أنها من الرائدات اللواتي أنشأن صالونا أدبيا في بيئة نشاطاتها الثقافية العلنية تكاد تكون حكرا على الرجال. ومن هذا الصالون خرجت إلى العلن فكرة إنشاء جائزة ليلى العثمان لإبداع الشباب في القصة والرواية وهي مقصورة على الروائيين الكويتيين وقد فاز بها شباب مبدعون أصبحوا فيما بعد أقلاما معروفة أثبتت وجودها على الساحة الثقافية العربية مثل سعود السنعوسي الفائز بالبوكر العربية سنة 2013، وقد بررت ليلى العثمان مرارا خيارها بتخصيص الجائزة للشباب الكويتي فقط بأن الجوئز العربية وأغلبها خليجية تذهب إلى مبدعين عرب، وترى أن العرب غير الخليجيين مقصّرون في الالتفات إلى الإبداع الخليجي فلعنة النفط تلاحق مبدعي المنطقة حتى في المجال الثقافي، فأرادت من خلال جائزتها إنصاف الروائيين الشباب من بلدها.

رغم معرفتي التي امتدت لسنوات بليلى العثمان لم تتسنّ لي استضافتها سوى في سنة 2008 في برنامجي «نلتقي مع بروين» وأعددت للحلقة عدتها وشاكستها غير أن ليلى العثمان المتصالحة مع نفسها كانت تجيب على جميع أسئلتي بأريحية وبصراحة متناهية، وقد لاحظ متابعو البرنامج ذلك جليّا فكتبت الشاعرة التونسية فاطمة بن محمود «لأول مرة استمتعت بامرأة تنفتح على الأسئلة بكل ثقة وتدافع عن رؤاها وتشرح اختياراتها الأدبية فتقنع مستمعيها». تحدثتْ يومها عن القسوة التي لاقتها من عائلتها حيث شبّهت نفسها بالفأرة المذعورة التي لا يلتفت إليها أحد في عائلة كبيرة تعاني من طلاق الأم وزوجات الأب، هذا الأب الذي «كان يرفض أن أحضر منتداه الأدبي، بل رفض أن أنشر مقالات باسمي، كي لا يعرف الناس أنّ فلانة بنت فلان تكتب في الصحف» كما صرّحتْ مرة، وخلق في نفسها الرغبة في الثورة على التقاليد التي تحُدّ من حرية المرأة ومن طموحها، رغم أنها مُنعتْ من أن تكمل تعليمها فكانت مكتبة والدها مدرستها البديلة. ومن هذه الثورة نفورها الشديد من المظاهر المادية وهي ابنة العائلة الثرية فقد قالت في لقائنا بأنها تكره الذهب والفرو ولا تلبسهما إلى الآن. لاحظت في اللقاء أنها امرأة تحب البوح ولا تتهيب أي إحراج فقد سألتها عن الجنس في رواياتها وعن موقفها من الدين وعن غزو الكويت وموقفها من الشعب العراقي فلم تتردد في الإجابة. واصفة نفسها بأنها امرأة حرة حطمت كل القيود ولا تخضع للتهديد ولا التخويف فقد فرضت على مجتمعها أن يتقبلها، بل جعلت مناوئيها ومن رفعوا قضايا ضدها يعترفون بحضورها الأدبي وتأثيرها، وشكّلت مع الروائي إسماعيل فهد إسماعيل ظاهرة أدبية يلتفّ حولها الأدباء الكويتيون، وكانت مصدر إلهام لكثير من الكاتبات الخليجيات.

كانت ليلى العثمان سعيدة باللقاء وما أن أنهينا الحوار حتى قالت لي «تعالي نحتفل بلقائنا» وعلى طاولة العشاء اكتشفت وجها آخر لها متمثلا في روح الأمومة الطاغية عندها، وهي التي عانت من غياب الأم نتيجة الطلاق وقسوة الأقربين فعوّضتْ ذلك بفيض غامر من العواطف يتجلى في علاقتها بأبنائها وفيهم من يخالفها في أفكارها، وقد عاملتني بهذه الأمومة في جلستنا التي امتدت حتى ساعات الفجر الأولى حين التفتت إليّ بحنان الأم و بعاطفة امرأة قوية قائلة: « تزوجي بروين، الأمومة تغيّر الكثير في شخصيتك وعلاقتك بالكتابة».

بقي لقائي مع ليلى العثمان منقوشا على جدران القلب فساهمت في اختيار روايتها «صمت الفراشات» ضمن الأربعين رواية في مشروع «حياكة الرواية» الذي أطلقته السيّدة أسماء الصدّيق والقائم على تصميم أربعين ثوبا مستوحى من عناوين أربعين رواية قدّمته عارضات في معرض أبوظبي للكتاب وكانت تجربة رائدة ومتعة بصرية زاوجت بين الرواية وعرض الأزياء.

ولا زلنا بانتظار أن تكتب ليلى العثمان سيرتها الذاتية ولو في قالب روائي كما قالت في اللقاء فلديها الكثير لتقوله عن حياتها وعن إبداعها، فهي كما كتب عنها بلديّها طالب الرفاعي يوما «كتاباتها وحياتها الخاصة والعامة وجهان لعُملة واحدة. فليلى تكتب ما تؤمن به وتؤمن بما تكتُب».

رأي في رواية «قناع بلون السماء»

مجد يعقوب

ثمة ثبات عميق بداخلي يرفض أي عمل أدبي تشمّ منه رائحة القبول والتعامل مع مغتصب ولو كان بأدنى حدوده وبصرف النظر عن الغاية، خصوصاً أنه بالمجمل سينتمي إلى الأدب الفلسطيني شئت ذلك أم أبيت.

منذ مفتتح القراءة في الفصل الأول والذي قدَّم به الروائي الشروحات المفصلة لسير أحداث الرواية التي ينوي (نور الشهدي) كتابتها وسعيه لتتبع أثر مريم المجدلية في محاولة منه لإثبات تاريخيتها لينتهي به الأمر لاعتباره في نهاية العمل الروائي على أنه شيءٌ من العبث.

وكم أرجو الا أزعجه في الاستخفاف بجهده البحثي كما فعل صديقه المقرب إليه (مراد) والتي أظنّها شخصية وهمية ابتدعها الروائي لإجراء الديالوغ الداخلي بينه وبين نفسه للتخفف من خطورة ما ينوي القيام به، عبر الرسائل الصوتية التي كانت تلوي عنق السرد بين الحين والآخر.

أما عن (مهدي الشهدي) والد نور، بطل الانتفاضة وسيد أزقة المخيم والمطارد الذي لقَّن أعداءه دروساً في المقاومة والذي ينتهي به الأمر إلى عربة الشاي والقهوة بعد أن وقع تعهداً بعدم العودة إلى العنف.

وعن أزقة المخيم يتحدث (نور الشهدي) باقتضاب وإنكار يقول: إنها تسيء لصباحاته!!، متبابعاً: «ليس ثمّة معنى لاسم المخيم الفلسطيني إلا عندما ترتكب فيه المجزرة، ليصبح اسماً من المآسي في تاريخ الإنسانية». رغم صحة هذا الرأي جزئياً، إلا أن للمخيمات قيمة كبيرة عند أصحابها ومنها خرج المناضل والمبدع والمثقف.

(أور شاييرا) الشخصية المنتحلة من قبل نور الشهدي والتي من خلالها صدَّر لنا الانتحال على أكمل وجه متذرعاً على أنها ستساعده في غرضه البحثي لروايته المنتظرة. (أور) والشخصيات الثانوية التي قابلها وحاورها بلغتها، السلوكيات والمشادات جاءت لتخدم التطبيع بشكل صريح وواضح مؤكداً بذلك قوله: (ربما كان بي أثرٌ من أور). بين السكناجي والاشكنازي (الشخصية الحقيقية لنور والمنتحلة).

كان سرد رواية قناع بلون السماء ، حتى ظهرت له (سماء اسماعيل) طالبة الدراسات العليا في حقل الآثار، والتي تعبر عن نفسها وانتماءها بكل يقين وشجاعة تقول: (أنا من حيفا، من هذه البلاد) لتضغط على وتر شديد الحساسية في عمق أعماق نور مهدي المشهدي، وبعد صراعه الداخلي يقرر الانسحاب من المغامرة التي اعتبرها شيئاً من العبث وعودته إلى أزقة المخيم من جديد. وفي معنى كلمة قناع بالعبرية، مسخاً .

الأسرار الوجودية والإشراقات الصوفية في أعمال رسمي الخفاجي

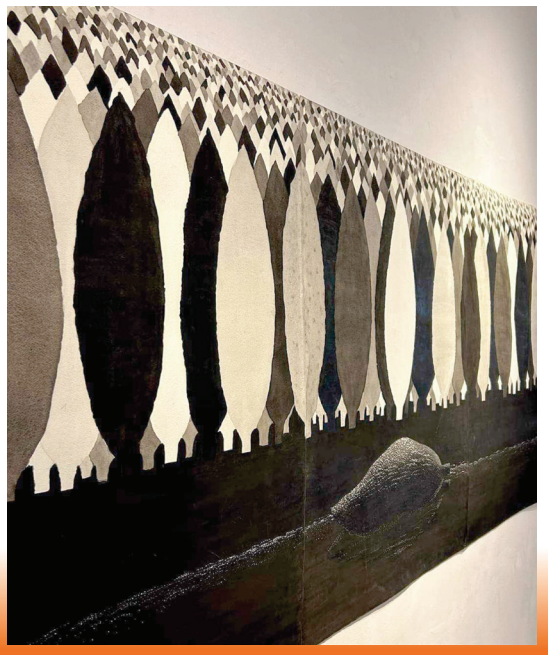

فجاة ودون أي أنطباع مسبق تأخذك أعمال رسمي الخفاجي المميزة بثنائيات الابيض والاسود إلى عالم داخل روحك وخارجها، أي خارج سفوح الزمان والمكان لتمتد بالأبعاد الأربعة في رحلة كونية لا أجرؤ على وصفها بالغموض إنما بسلال الأسئلة والمجاهيل البعيدة للروح الإنسانية التي تفلت من سلطة العقل لترتبط بسلطة الروح والكون السخيتين تاركاً الباب مواربا للإحتمالات والأجوبة القافزة على قيود النظريات الفنية لتنطلق إلى مدى فلسفي صوفي علمي أرحب..

د. سلامة الصالحي*

ربما بحزمة من الإشعاع الخفي لعقله الباطن وتصوراته الخفية ومن خلال التمعن والتأمل بأي عمل خضع لرؤيته الفذة وعينه الخفية مستخدما اللون الأسود وتاركاً لبياض الورق أن يساهم معه في تشكيل رؤاه كأنه يرسم طالع الوجود وأسراره في إيحاء مبهم، ربما من مجهول إلى لحظة هروب العقل إلى جهة مجهولة اسمها الخيال المزدحم بالرؤى والصور والمتاهات العجيبة وهي تضع خالق الإبداع الثري بالمعرفة مندهشاً أمام وجوده المشحون بطاقات جمالية يعثر عليها الرسام وهو يتأمل الابعاد القائمة والمسطحة للكون من رؤى العيون الخفية للروح المرتبطة بالكون بخيوط هلامية تفسح لها المجال للتحرر والتيه في هذا المدى المحيّر، وربما استمدّ من هيجل وعمق نظرته المادية المثالية للوجود وصراع أو فناء التناقضات أو ولادتها والتي امتدت لتشمل ما جاءت به العلوم الحديثة من نظريات كمومية وشحنة الفراغ وطاقته الهائلة من الأسود أمام الضوء إلى الحد الذي يجعل من طاقة الفراغ مهما كانت بسيطة في مقارنتها مع سعة ما حولها بالتمدد وخلق أكوان جديدة .

استطاع الخفاجي أن يخلق أكوانه الخاصة، ويمنحها أسراره الوجودية وقلقه ومحنة الانسان المعاصر وهو يقف ممزقاً بين كل التناقضات والثنائيات التي يغرق بها عالمنا من ظلم ومحن وأوجاع وقسوة وحروب ودماء وهيمنة منطق القوة كأنّ خلفها تقف أرواح شريرة استمرأت مناظر الدماء والقسوة، والتي هرب من ترويعها الخفاجي إلى الأبيض والأسود محاولاً الإمساك بلحظة وجوده العابرة والتي لا أظنّها عابرة بعد أن خلّدها بهذه الروائع .

إن جماليات الأبيض والأسود وإيحاءاته هي العودة بشكل لا إرادي إلى لحظة البدء الأول والخلق الأول إلى فجر البدايات وسحرها قبل أن تداهم الإنسان فكرة الضوء متحللاً إلى ألوانه السبعة التي أشارت إلى المآسي بقدر إشارتها إلى الجماليات، فمن غموض الفناء وانطفاء شعلة الحياة متمثلاً بالأزرق أو البنفسجي أو الأحمر أو الأصفر في سديم الفراغ المظلم إلى وحشية الألوان وهي تستعرض الحياة بشتى صورها الحيوية ومخلوقاتها، إلى عناد الأشجار وحياديتها وهي تعبر عن حضورها الخالد إلى غدر البحار بالإنسان وهو يصارع للوصول إلى ساحل آمن يحفظ كرامته ويمجد الحياة التي انتهكتها الحروب والمجاعات. صلة رسمي الخفاجي بالإنسان وأوجاعه تكاد تكون صوفية تجسدت بلوحات نفيسة، ومن الندرة والابتكار أنه عمد إلى الإستفادة من حركة العلم وجعل لوحاته تتحرك وتخرج ناطقة يقف خلفها تاريخ من مخزون ثقافي وإبداعي تحمله جيناته الأصيلة والتي تعود به إلى حضارة نهضت بالبشرية وأعطتها البذور الأولى من هناك، من سومر إلى دلمون العجيبة، جنّة البدايات وسحرها من تلك الربى والسهوب الخضراء تغذّت ذاكرة رسمي الخفاجي بالأوجاع والمسرّات والأسئلة والشتات الذي حاك منه الخفاجي رداء إبداعه الوثير منطوياً على ذلك الإرث النفيس وخارجاً بأبهة التاريخ والحضارة بأسلوب جديد تميّز به عن أقرانه وأعطاه الهوية الكونية والخلود عبر قراءات ستظلّ أجيال بعيدة تحتفظ بفسحة الجمال والقلق التي بثتها روحه المتصوفة بإشراقاتها التي تمسّ نوافذ الخير في الإنسان، ذلك الخير الذي يتجسد في حب الطبيعة وخوف الإنسان على أخيه الإنسان برسالة وشفرات تشرق بداخل من يرى ويتمعن في تلك المساحات الجنائنية من الأبيض والأسود، كمن يفصح عن لون اللؤلؤ ورقّته في ظلمة البحر وجنونه، هو الذي حمل صخرة وجوده رواقياً سيزفياً عراقياً عربياً كونياً خالصاً.

* شاعرة وروائية من العراق

«عشقُ سرّي» .. حكاية إينيسّا ولينين

حميد الملا

رواية جديرة بالقراءة للإطلاع على كل ما هو جديد من الأخبار والروايات عن الثورة البلشفية، ثورة أكتوبر ١٩١٧ للصحفية والروائية الإيطالية ريتانّا أرميني. الصفحات الثلاثمائة من هذه الرواية تنصبّ وبشكل مكثف على حياة إينيسّا وعلاقتها بلينين من جانبين، النضالي والعاطفي، فقد كانت رسالتها في هذه الرواية واضحة للقارئ، البحث والتنقيب عن المجهول في التاريخ لتظهره إلى العالم بعد أن فُتح أرشيف الثورة في العام ١٩٩٢ بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي، واكتشاف رسالة لم يسبق لأحد أن اطّلع عليها أبداً، لأنها كانت مخفية في علبة، وهي رسالة حبّ كتبتها إنيسّا أرماند للينين في كانون الثاني ١٩١٤.

تتبع الكاتبة هذه العلاقة من خلال البحث والتقصي في أرشيف ثورة أكتوبر، إذ قرأت كثيراً عن هذه المناضلة المنسية أو المحذوف بعضاً من سيرتها من أرشيف تلك الثورة، فأخذت على عاتقها تتبع سيرتها والأماكن التي التقت فيها بلينين في فرنسا، سويسرا، روسيا. الشيء الأهم في هذه الرواية هو القاء الضوء على ثورة أكتوبر بتتبعها للأحداث قبل وبعد الثورة حتى وفاة إينيسّا أرماند في العام 1922 وموت لينين، واستلام ستالين السلطة في العام 1924.

أسلوب الرواية بسيط وجميل يلقي الضوء على نضال المرأة وتحريرها وعلاقتها بالحزب ودورها في انتصار ثورة أكتوبر، فبالإضافة إلى التركيز على إنيسّا كان هناك أليكساندرا كولونتاي، أنجليليكا بالابانوف، روزا لوكسمبرغ، كلارا زيتكين، ناديا كروبسكايا، إيليزافيتا تيستروفا والدة ناديا زوجة لينين، كونكورديا ساموبلوفا، ليليانا زينوفيفا، لودميلا ستال وهن رائدات المناداة بتحرير المرأة في روسيا، وقد القي القبض عليهن من قبل رجال الدرك القيصري وسُجنّ بسبب نشاطهن السياسي.

أصبحت إنيسّا المرأة الأكثر نفوداً وتأثيراً في روسيا الثورية بشهادة العديد من المؤرخين وفي السنوات الثلاث التي تلت الثورة من أهم الشخصيات التي ساهمت في تأسيس الاشتراكية بروسيا، "بل كانت من أهم أعضاء مجموعة النساء والرجال الذين غيرّوا مجرى التاريخ" واستحقت أنّ تحظى بذلك نظراً للأدوار العديدة التي قامت بها في سبيل انتصار الثورة البلشفية والدور الكبير الذي لعبته في تحرير المرأة واعتماد قرارات مهمة مثل: الاعتراف بمشروعية الزواج المدني، ضمان حق المرأة في الاحتفاظ بلقبها العائلي بعد الزواج، ثم منح الأبناء المولودين خارج إطار مؤسسة الزواج كافة حقوقهم مثلهم في هذا مثل بقية الأبناء الشرعيين. كانت تقول "إذا لم يتمّ التخلّص من كافّة الأشكال التقليدية التي تقّيد العائلة الروسية وحياتها المنزلية وطريقتها في تربية الأجيال فإنه لا يمكن لأحد أن يعطي للوجود إنساناً جديدًا ، ولا يمكن بالتالي بناء المجتمع الاشتراكي".

فانيسّا لديها التزام كلي بقضايا النساء فكافحت من أجلهنّ سواء من خلال رئاستها لجريدة (الخبر) وجريدة (المرأة العاملة) وإدارتها لمجلس موسكو الاقتصادي، وعضويتها في مجلس الدوما، وبعد ذلك أختيرت مندوبة في المؤتم السادس للحزب، فقد كانت امرأة مستقلّة وثورية والتجارب نقلتها من حياة موسكو البورجوازية إلى مجتمع الثورة. كانت تهتمُّ بأبناء الفلاّحين حتى أنها قامت ببناء مدرسة خاصة بهم في قرية إيلديجينو ، حيث كانت سيدة غنية وزوجة لصاحب

أشهر وأكبر مصنع غزل ونسيج في روسيا، إضافة إلى اهتمامها بالأقليات الروسية المهاجرة إلى فرنسا والمقيمة في باريس.

إنيسّا تلك المرأة المنحدرة من عائلة برجوازية غنية انخرطت في النضال الثوري مع لينين وذاقت الاعتقال والنفي لأكثر من مرة على الرغم من إنها كانت متزوجة ولديها خمسة أطفال. كانت ثرية، ولكنها لم تخش الفقر، حتى أنّها ماتت فقيرة جداً، كانت زوجة طيّبة لكنها في الوقت ذاته كانت تدافع عن أهمّية اختيار المرأة لشريك حياتها. اسمها الشخصي هو إليزابيث وهي ابنة ابوين من عالم المسرح، والدها مغنّي الأوبرا ثيودور ستيفان ووالدتُها المُمثلة نتالي وايلد. وُلدت إينيسّا في باريس وانتقلت بعد سنوات قليلة من ولادتها إلى العيش في روسيا مع جدتها وخالتها.

تتحدث أربع لغات، الفرنسية والانجليزية والروسية والألمانية وهي قارئة نهمة، وبارعة في عزف البيانو، ذات شخصية قوية ومتميزة، مهتمة بالتاريخ والفلسفة، مهتمة بالأدب الروسي ورموزه مثل نيكراسوف، دوستويفسكي، تولستوي وشيرنيتشيفسكي، الا أنّ تولستوي يبقى كاتبها المفضل.

في مرحلة النضال ضد الحكم المطلق للقيصر القي القبض عليها وهي تهمّ بتنظيم الاجتماعات والحلقات التعبوية من أجل التعريف بأفكار زعماء الثورة في المنفى عبر توزيعها الكتب والمنشورات التي كانت قد هربتها من سويسرا ، فقد كانت مسؤولة الحزب الأولى في مقاطعة ليفرتوفو بموسكو، وعلى الرغم من الفترات الأليمة التي مرت بها، لكنها «ظفرت بأشياء أجمل وأقوى، أشياء لم تكن تمنحها لها سوى سنوات النضال الثوري»، فقد كانت من أكثر البلشفيات حماسة وذكاء «لذا فأمر طبيعي أن يلتفّ وبشكل سريع كل أعضاء المجموعات الباريسية الأخرى المساهمة في الحزب حولها»، حيث كانت تهتم بالمراسلات مع الفروع المهجرية الأخرى فإتقانها للغّتين الإنجليزية والألمانية أهّلها لادارة قسم المراسلات والعلاقات الخارجية، كما تفرغت أيضاً لإدارة الشؤون الخاصّة بالاشتراكيين الديمقراطيين الأوربيين بحكم معرفتها اللغة الفرنسية وإجادتها بشكل أفضل من لغة العديد من المهاجرين ومن لغة لينين نفسه.

كما إنها باتت تتصدى لأكثر المشاكل السياسية تعقيدًا من خلال تنفيذها وبشكل صارم السياسات التي اتبعها لينين في تأسيس حزب من طراز جديد بقيادة حازمة، وقوانين داخلية صارمة، فالحزب الجديد له لجنة مركزية تدير شؤونه جيداً، وله أيضاً جريدته الرسمية وأسمها (برافدا)، أي الحقيقة. وكانت أول من تصدى لحل مشاكل الموارد المالية في الحزب بلجوءها إلى معارفها القدامى وكذلك إلى أصدقاء زوجها الكسندر، فكانت النتيجة أن صدر العد الأول من البرافدا في 22 نيسان 1912.

وعل الرغم من كل تلك المسؤوليات الجسام كانت في الوقت نفسه أماً حنون وحاضرة دائماً في حياة أبنائها الخمسة. كتبت عنها ناديا كروبسكايا: «تشعّ فرحاً وبهجة ودفئاً على الجميع، كلنا نحبّ إينيسّا، فهي تحمل معها السعادة والحياة والحيوية أينما حلّت، وهذا كاف ليجعلنا جميعاً متعلقين بها إلى أبعد الحدود، فحتى فلاديمير إيلتش في تلك الأسابيع التي قضتها معنا، بات يطلب منها مرارا أن تعزف له سوناتا بيتهوفن (تحت ضوء القمر).

قبل وفاتها باسبوعين كتبت في مذكراتها ما يختلج في صدرها من حقائق: «يحتلّ الحبُّ مركز الصدارة في حياة الأشخاص الرومانسيين، ويكون عندهم فوق أيّ اعتبار، وأنا مثلهم وإلى وقت قريب كنت أوافقهم الرأي، لكن الواقع اضطرني إلى تغيير موقفي، لم يعد الحبّ يمثل كل شيء في حياتي، لقد حلّ مكانه التزامي بالقضية، هذا الالتزام الذي دفعني في كثير من الأحيان إلى التضحية بالحب والسعادة».

يبقى السؤال هل من علاقة عطفية جمعت إنيسّا بلينين حقيقة أم أن ذلك من نسج خيال الكاتبة رغم ما قدمته من حقائق حول ذلك مما كتبه رفاقهما؟.

الصـالونات الثقـافيـــة العـــربيـــة

تشكلت الصالونات الثقافية العربية على مدار التاريخ محطة من المحطات المهمة في الثقافة العربية، ومع تعدد التسميات عبر هذا التاريخ، مثل: منتدى، مجلس، صالون، جماعة، ديوانية، فهي تعطي دلالة واحدة تعنى بتقديم الثقافة والفكر والأدب، ولكن هناك في بعض البلدان قديمًا فرز لهذه الصالونات أو المجالس، إذ ظهرت المجالس الأدبية المعنية بالشعر والنثر والنقد والخطب، مجالس العلماء والنحويين، كما كانت هذه المجالس تسمى بأصحابها ،وعادة ما تكون لعلية القوم، مثل: مجلس الرشيد، وتاريخ تلك الحوارات والمناقشات في القضايا النحوية التي دارت بين سيبويه والكسائي، ومجلس المأمون الذي كان مقره في دار الحكمة، وقد حوله إلى ندوات علمية تطرح فيها ضروب المعرفة، ومجالس البرامكة، كمجلس يحيى بن خالد البرمكي والحوارات بين المتكلمين والمتفلسفين، مجلس سيف الدولة الحمداني، ومجلس الصاحب ابن عباد، ومجلس المعتمد ابن عباد، ومجالس للنساء كمجلس ولادة بنت المستكفي في الأندلس، كما كانت هناك مجالس خاصة بالمسائل الدينية وعلم الكلام التي كانت في مساجد وجوامع أكثر الحواضر العربية، كبغداد والبصرة والكوفة ودمشق (الجامع الأموي) والقاهرة (جامعة الأزهر) والقيروان بالمغرب، وفي الحرمين المكي والمدني، بالإضافة إلى المسجد الأقصى.

د. فهد حسين

ومن تلك الشخصيات التي كانت أعلام الثقافة والمعرفة في البصرة يلتقون، وقيل عنهم كما أشار رشيد الذوادي، مقاهي الأدبـاء في الوطن العربي، صـ19-23، بأن في أحد مجلس البصرة كان يجتمع فيه عشرة لا يعرف مثلهم، وهم على التوالي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومحمد الحميري، وسفيان بن مجاشع، وبشار بن برد، وصالح بن عبدالقدوس، وابن رأس الجالوت، وابن نظير، وعمر بن آخت المؤبذ، وحماد عجرد، وابن سنان الحراني، كما أن هناك مجلس آخر بالبصرة أيضًا تعاقبت عليه ثلة من الأدبـاء وأصحاب الكلام، مثل: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء.

وربمـا نحسب الأسواق والمهرجانات الأدبية والشعرية بخاصة، والمعارض الفنية والتشكيلية التي كانت تشيد في بعض المناطق أو الصالات من أجل الأدب والفن والعرض، أو معارض الكتاب التي تقام على مستوى العالم، فهي أيضًا لا تبتعد عما يمارسه المجلس الثقافي أو الصالون، فكل هذه الأمكنة طالما تغطى بالثقافة والأدب والفكر، فهي تتلاقى وهذه الصالونات، فسوق عكاظ في الحجاز آنذاك الذي يتجمع فيه الشعراء والمبدعون ويقرأون نصوصهم أمام مجموعة من المحكمين، وإن الخيمة التي كان ينصبها الشاعر صاحب الحوليات زهير ابن أبي سلمى في سوق عكاظ، بمثابة مجلس أدبي، حيث يتحاور مع الشعراء فيما يكتبون ويطرحون من قصائد، التي يشبه تلك القراءات التي كانت ولاتزال موجودة في المجالس الثقافية، حيث يلقي الكاتب أو المبدع ما لديه، ويتم الحوار والنقاش حول ما سمعوا ليعرف موقع نصه إبداعيًا وفنيًا وقيمة ثقافية ومعرفية. وكذلك مهرجان المربد ذاع الصيت في البصرة قديمًا، الذي كان سوقًا تضم عددًا من المجالس الأدبية موزعة بين القبائل والشعراء والمبدعين، وها هو المربد أصبح من أهم وأكبر المهرجانات التي يحسب لها الشعراء ألف حساب حينما تأتيهم دعوة للمشاركة، لما يحظى هذا المهرجان من مكانة تاريخية وحضارية وثقافية وشعرية عربية عالية.

ومع التحوّلات في البنى الاجتماعية والثقافية، وتطور المجتمع، ورغبات زائدة لدى الخلفاء والأمراء ورجالات الخلافة الإسلامية وقبلها الدول الكبرى التي كانت مسيطرة على المناطق العربية وغير العربية، مثل الغساسنة والمناذرة، ثم الدول التي تعاقبت على الدولة الإسلامية من الأمويين حتى الفاطميين وغيرهم مرورًا بالعباسيين والدويلات التي انبثقت من جسد الدولة العباسية، وكذلك الدولة الأموية في الأندلس، كل هذه فكرت مليًا، وعرفت أهمية الأدب والفكر والثقافة التي لابد أن تكون قريبة من قصورهم، بل في عقرها، لهذا هناك الكثير من المصادر العربية التي تؤكد حضور هذه النخب المثقفة مجالس هؤلاء الملوك والخلفاء والأمـراء، لكن في الوقت نفسه سببت هذه المجالس بعض العداوات والخلافات والحساسية المفرطة بين الشعراء، وخلافات بين الفلاسفة، ومشاحنات بين النحويين واللغويين، وما الخلاف الذي وقع بين المتنبي وسيف الدولة الحمداني إلا بسبب الغيرة الزائفة بين الشعراء، أو تلك التحديات الشعرية بين الشعراء الثلاثة (جرير والفرزدق والأخطل) هؤلاء الذين أسسوا لفن الهجاء تحت عنوان (النقائض)، أو التحدي الذي أعلنه أبو جعفر المنصور، وتحدي الأصمعي له بقصيدة صعبت عليه وعلى الجارية حفظها وإعادة قولها.

كما ظهرت مجالس كثيرة عبر عصور الدولة الإسلامية، ولكن مع التطور في البنى التحتية للثقافة في العصر العباسي، ودخول الترجمة، وبروز علوم أخرى كالفلسفة وعلم الكلام ومدراس النحو، والفرق الكلامية، زادت اللقاءات في مجالس الخلفاء والأمراء، وكثرت زيارات الأدباء لمجالس الأنس والسهر والطرب، وفي الوقت نفسه لا تخلو هذه المجالس من الفكر والثقافة والأدب، إذ يتبارى الشعراء فيما بينهم، أو يتحاور الفلاسفة في قضايا شائكة، أو يتجاذب أصحاب الفرق الكلامية حول بعض الموضوعات اللغوية أو النحوية أو المعرفية أو الدينية. بل هناك أنواع من المجالس التي كانت منتشرة، وبالتحديد في العصر العباسي لما لها من دور في التواصل والتلاقي بين الحضارة العربية والحضارات الأخرى غربية وشرقية، وهي: اليونانية والرومانية والفارسية والهندية، وهذا لا شك يسهم في إدخال عادات وتقاليد وثقافات تمتزج بما لدينا نحن العرب، لذلك لا غرابة في وجود مجالس الندماء والمجون والطرب، وقد أشارت بعض المصادر لهذه المجالس، مثل: كتاب الأغـاني لأبي فرج الأصفهاني، وكتاب الأمثال لأبي الفضل أحمد الميداني، وكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، وغيرها من كتب التراث والأدب والتاريخ والرحلات.

ولو نظرنا إلى البحرين، فقد برز عدد كبير من المجالس، وبالأخص مع الانفتاح والتحولات التي حدثت في البحرين بـدءًا من العام 2000، أي مع الألفية الثالثة، إذ ذهبت هذه المجالس لتقديم خدماتها الثقافية عامة، ولكن أكثرها راح يهتم بالشأن السياسي المحلي، فضلاً عن تقديمها بعض البرامج ذات العلاقة بالحياة الاجتماعية أو الأدبية، أو في الثقافة العامة أو المتخصصة، وهناك مجالس اقتصرت دورهـا في النشاط التخصصي، وغالبًا ما تكون هذه المجالس في سياق الشأن العلمي الأكاديمي، وبالتحديد في مجال الأدب واللغة، وثالثة كانت عبر تاريخها مهتمة بالأمور الدينية، وبين الحين والآخر تقدم بعض المجالس برامج تخص الساحة العربية أو العالمية، وبخاصة حينما تبرز أحداثًا ذات شأن جماهيري أو حياتي أو إنساني، وهناك مجالس لا تعقد الندوات ولا المحاضرات ولا اللقاءات، وإنما يكمن نشاط هذا المجالس في العلاقات الاجتماعية وتبادل الأخبار العامة في المنطقة المحصورة ذات العلاقة التي تربط المجلس ببيئة المكان الكائن فيه، وربما تبرز بعض الحوارات العفوية غير المعدة بحسب ما يطرح من حوار بين الحضور والمدعوين.

وفي كل الأحوال فإن هذه المجالس وتعدد أنشطتها تسهم في تحريك المياه الراكدة، وتنشط أفراد المجتمع، وتجعلهم يقفون على المستجدات من قضايا الإنسان، وهذا في حد ذاته حسنة مهمة تحسب إلى هذه المجالس، وبخاصة في ضوء الصراع والتنافس غير المتوازن بين حركة المجتمع وأفـراده ومجالسه، وبين الطفرة التكنولوجية واتساع رقعة التواصل الاجتماعي الذي كانت ولا تزال تضم بين دفيتها الرث والثمين، وتحاول بعض هذ المواقع والحسابات العالمية بث ما لا يتوافق وروح المجتمع أو مبادئه وقيمه أو تطلعاته، لذلك أعتقد أن وجود هذه المجالس ضرورة ملحة في محاولة بيان ما ينبغي أن يكون تبعًا لما يتوافق والمجتمع الذي نعيش فيه، وما تتطلبه المراحل التاريخية، وأهمية الوعي المجتمعي الجمعي والفردي.

وفي العصر الحديث لم يقتصر دور الصالونات الثقافية أو الأدبية في البلاد العربية على الأدب شعرًا ونثرًا، بل كانت تطرح القضايا والأفكار الأدبية، كما تطرح القضايا الفلسفية والفكرية والفنية بتنوعها ومجالاتها من مسرح وسينما وتصوير ونحت وغيرها، وكان الكثير من المعنيين بنهضة الوطن العربي وتنوير أفراده، والذين أسهموا في حركة التنوير العربي كانت لهم صولات وجولات كثيرة صدحت بين جدران هذه الصالونات، وهذا ما يؤكد اهتمام العديد من المترددين إلى هذه الأمكنة من طرح قضايا وفلسفة الحداثة وعلاقاتها بالموروثات والتاريخ والتراث والحضارة والثقافية، ودور المثقف العربي في تطوير أدوات التفكير لمعالجة قصاياه الثقافية والفكرية والحضارية والأدبية والاجتماعية والسياسية، وغيرها من القضايا ذات الوقع على البنى المجتمعية المختلفة، وبالتحديد تطوير التعليم وتحديثه في المجتمع، ومن خلال أهداف غير مكتوبة ولا معلنة، مثل: إقامة الندوات والمحاضرات، وتنمية مهارة الحـوار في سياق مناقشة القضايا والظواهر المجتمعية المختلفة، وتنمية الوعي بقبول الآخر، ومعرفة طبيعة الأفكار ودورها في بناء المجتمع، مع التأكيد على تنمية الفكر الناقد، من دون إغفال نسج العلاقات الاجتماعية والصداقات بين المرتادين.

والبحرين ليست سباقة في تأسيس هذه المجالس، وتشكيل الصالونات، بل كانت الحواضر ودول المركز هي التي شكلت هذا المنحى التنويوي والنهضوي، إذ برزت في العصر الحديث صالونات كثيرة في مصر، منها على سبيل المثال: صالون مي زيادة – صالون العقاد – صالون أحمد تيمور – صالون محمد حسن عبدالله – صالون المعادي الثقافي الذي أسسه الطبيب وسيم السيسي عام 1990 – صالون عبدالمنعم تليمة – صالون حامد طاهر – صالون علاء الأسـواني – صالون أركان الثقافة للشاعرة جيهان حسين – صالون زمرة الثقافي في الإسكندرية – صالون التذوق الثقافي لأميرة مجاهد في الإسكندرية، ويعتبر صالون الشيخ مصطفى عبدالرازق، هذا الصالون الذي يعتبر أول فرع لنادي القلم الدولي، بل كانت مؤتمرات النادي تعقد في بيته، وقد خرجت من هذا الصالون مجموعة من الأفكار والرؤى تكللت بوجود رغبة التخطيط لمستقبل القاهرة الفكري والثقافي، لذلك خرجت منه فكرة تحرير المرأة، ومجلة السفور، وكتاب الأخلاق عن أرسطو الذي كتبه لطفي السيد، وكتاب ثورة الأدب لمحمد حسين هيكل، وكتاب خطرات النفس لمنصور فهمي، وكتاب في الأدب الجاهلي لطه حسين، وكل هذه هزت القاهرة وفجرت مناقشات تعنف وتهدأ، ولكنها في الحالين ممتعة باقية.

أما في صالون العقاد كانت القضايا الأدبية والثقافية والفكرية والـتراث، وما ينتجه الآخـر الأوروبـي هي موضوعات هذا الصالون، ومن تقاليد هذا الصالون أن العقاد لا يتيح فرصة التعرض للمسائل السياسية أو الدينية، ولكنه يرحب بالموضوعات الأدبية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية والفنية والعلمية، وقد كتب أنيس منصور كتابًا عن صالون العقاد، تحت عنوان (في صالون العقاد كانت لنا أيام)، مما يدل على أهمية هذه المجالس والمحال التي كانت تعنى بالثقافة والفكر والأدب، حتى أصبح لها دور فاعل في الحراك الثقافي العربي، وليس دورها في إحياء النشاط الثقافي، وإنما في طرح القضايا التي تؤثر على بنية الفكر والعقل العربي، ومـدى أهمية هذا في تغيير بعض الأفكار والتوجهات، وغيرها من الصالونات والمجالس التي أسهمت بدور مهم في النهضة العربية بمصر والعالم العربي، بل شهدت هذه الصالونات كما شهدت المقاهي قبلها حركة الشارع وما يتمخض عنه من حوارات ومناقشات وتباينات بين الكتاب والأدبـاء والمفكرين والأكاديميين حول دور الثقافة والأدب والفن في نهضة الشعوب، وما في مصر كان موجودًا في بعض الدول العربية كالعراق ودول الشام (لبنان وسوريا وفلسطين والأردن).

أما في منطقة الخليج فقد تأسست هذه المجالس ولكن في وقت متأخر عما كان في دول المركز العربية، وربما تأخذ بعض تلك الأهداف التي كانت الصالونات العربية تنشدها وتحققها، لكن ما يلفت النظر أن معظم المناطق الخليجية وتحديدًا في القرى والأرياف والمناطق الزراعية كانت المجالس الاجتماعية منتشرة بصورة كبيرة، وبخاصة في فصل الصيف، إذ يجتمع الرجال في منطقة خارج المنازل، وتحديدًا قربها، وتسمى آنذاك (المعتم)، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة في الأغلب، تحدد بجذوع النحيل، ثم تحولت إلى خشب، وعادة ما يكون هذا المكان مفتوحًا من الجهة المقابلة لصدر المكان، الذي يجلس فيه الأكبر سنًا، أو صاحب المكان نفسه، أو الذي يحظى بمكانة اجتماعية بين الأفراد، ويتم فيها الحكايات والقصص الشعبية والفلكلورية، وبعض الأحاديث الاجتماعية، ثم تطور الأمر ليكون المذياع محل اهتمام في هذه الجلسات.

وبحكم المساحة الجغرافية للمملكة العربية السعودية، فإن المجالس فيها كثيرة جدًا، وكانت ولا تزال تحمل أسماء أيام الأسبوع، ومن هذه المجالس مجلس اثنينية عبدالمقصود خوجة في جدة، أو تلك التي برزت في الأحساء، مثل: صالون أحدية الأديب الشيخ أحمد آل مبارك، صالون اثنينية الأستاذ محمد صالح القيم، صالون ثلاثية الشيخ عدنان المغاليق، وفي الرياض خميسية عبدالعزيز أحمد الرفاعي، وصالون الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل، وصالون الشيخ محمد بن عبدالرحيم الحقيل، وأحدية الدكتور راشد المبارك، وصبحوية الشيخ حمد الجاسر، وأحدية الدكتور ماجد عشقي، وثلاثية الدكتور عمر بامجسون، أما الكويت فيطلق على هذه الصالونات (ديوانيات) وهناك منتديات وملتقيات، كلها في المنازل، مثل: ملتقى الثلاثاء الذي أسسه الروائي والقاص طالب الرفاعي، ولايزال نشطًا، بل أنشأ جائزة للقصة العربية القصيرة وحظيت بانتشار عربي واسع. وفي دولة قطر ظهر صالون كتارا، وصالون المقهى الثقافي، وصالون الثقافة الذي يقام في المكتبة الوطنية، وهناك مجالس لأفراد من المجتمع القطري، مثل: مجلس للدكتور محمد كافود، وآخر للدكتور علي الكواري، ومجلس للدكتور حمد الكواري، وفي دولة الإمـارات العربية المتحدة، تأسس صالون الملتقى الأدبي، وصالون المنتدى الثقافي، والصالون الروسي، ونـادي أصدقاء نوبل، مجلس العويس، ومجلس الماجد، ومجلس عيسى عبدالله المانع، ومثلها في سلطنة عمان هذا البلد الممتد عبر الجبال والوديان والسهول، وبين البحر واليابسة، لا شك أن مجالس الرجال كانت منتشرة بين الولايات والمحافظات والمناطق، كما في مملكة البحرين تلك المجالس التي تشكلت مع الإنسان بعد أن استقر علي أرض زراعية أو قرب البحر، هكذا عاش الإنسان العربي ضمن تكوين المكان، ومع كل التحولات التي كانت تطرأ عليه.

التقدمي

التقدمي العدد 201 ـ أغسطس 2024 السنة 22 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

قصائد حـزينـــة

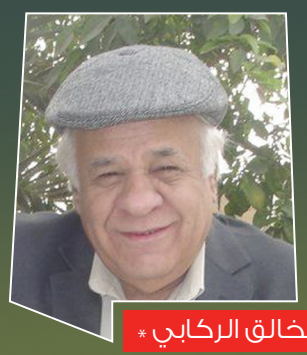

عبد الخالق الركابي *

(1)
أيّها الراعي:
لن يشجيني أنينُ نايك
قدر ما يشجيني ثغاءُ خرافِك
السارحةِ وسطَ الحقولِ
دون أنْ يخطرَ المسلخُ لها
على بال

(2)
أيها الجندي:
قد تلائم الخوذةُ رأسَك الطافحَ بالأحلام
قد تزيدك وسامة أمام محبوبتِك
لكنها لن تبقى كذلك يوم تمتلئ بالدم

(3)
أيها النجار:
واصل الدقّ بمطرقتِك؛ فبعد انتهائك
من عملِ مهدٍ لطفلٍ وليدٍ
ثمة محتضرُ ينتظر صابراً
أنْ تنتهي من تابوتِهِ ليسلمَ الروحَ بسلام

(4)
أيها العاشق:
لا تعوّلْ على الأسى الذي يسكنُ روحَك
ولا على الآهاتِ التي تحرقِ صدرَك
ولا على الدموعِ التي تجولُ في عينيك
فقد يكون عذابُكَ مبعثَ ضحكِ محبوبتِك

(5)

أيها الشاعر:
استعرْ من الراعي نايَه
ومن الجنديّ خوذَتَه
ومن النجار مطرقتَه
ومن العاشقِ خيبتَه
وتحسس سبيلَك كالأعمى
نحو قصيدتِك الجديدة.

* أديب وشاعر عراقي